ثقافة البادية

ملامح الشعر البدوى فى بادية سيناء

حاتم عبد الهادى السيد



ثقافة البادية

ملامح الشعر البدوى فى بادية سيناء

حاتم عبد الهادى السيد

تصميم الغلاف : محمد صلاح الحاروف

الطبعة العربية الأولى : ابريل ١٩٩٨

رقم الإيداع : ٥١٠٤/ ٩٨

الترقيم الدولى : I.S.B.N.977-291-083-7



- مركز الحضارة العربية ، مؤسسة ثقافية مستقلة ، تستهدف المشاركة فى استنهاض وتأكيد الانتماء والوعى القومى العربى، فى إطار المشروع الحضارى العربى المستقل .
- يتطلع مركز الحضارة العربية ، إلى التعاون والتبادل الثقافى والعلمى مع مختلف المؤسسات الثقافية والعلمية ومراكز البحث والدراسات ، والتفاعل مع كل الرؤى والاجتهادات المختلفة
- يسعى المركز من أجل تشجيع إنتاج المفكرين والباحثين والكتاب العرب ، ونشرها وتوزيعها .
- يرحب المركز بأية اقتراحات أو مساهمات إيجابية تساعد على تحقيق أهدافه .
- الآراء الواردة بالإصدارات تعبر عن آراء كاتبيها ، ولا تعبر بالضرورة عن آراء أو اتجاهات يتبناها مركز الحضارة العربية .

◆

رئيس المركز
على عبد الحميد

مدير المركز
محمود عبد الحميد

الجمع والصف الإلكترونى
مركز الحضارة العربية
تنفيذ : عبير كمال

4 ش العلمين عمارات الأوقاف
ميدان الكيت كات
تليفاكس : 3448368

ثقافة البادية

ملامح الشعر البدوى فى بادية سيناء

حاتم عبد الهادى السيد

تقديم

د. مجدى توفيق



إهداء

إلى :

" نورهان وبهية "

شمعتان تضيئان سمائى ،

حاتم عبد الهادى السيد

العريش : ١/ ١/ ١٩٩٨م

هــــــــذا الكـــــتاب

بقلم : د/ مجدى أحمد توفيق

كنت أزور الأستـاذ الدكتور محمـد حسن عبد اللـه حيث عرفت حاتم عـبد الهادى لأول مرة. قدمه لى الدكـتور محمد حسن بأنه شـاب من العريش مهتم بالشعر الـبدوى الذى يعرفه أهل سـيناء فى باديتهـا الواسعـة . بطبيـعة الحـال اتجه بنا الحـديث إلى هذا اللون من الشـعر ، وجادت علينا ذاكرة حاتم بحشد طيب من نماذج هذا الشعر .

لم نكد نفرغ من سمـاع الشعر وتذوق لغته التى تخالف عـامية القاهرة إلى حد كبـير حتى انصرفنا إلى مناقشته ، وتبادلنا الآراء حوله .

اتجه بنا النقـاش أول ما اتجه إلى الأدب الشعبـى ، وحسبنا أن هذا الشعـر الذى يصر حاتم على أن يسمسه باسم الشعر البدوى ، شعر شعبى جدير بأن يعمل الباحثون المختصون بالأدب الشعبى على جمعه ، ودراسته ، واكتشاف ما به من سـمات التعبير عن وعى الجماعة الشعبية ، وهمومها ، وحكمتها .

ولكننا بعد قليل لاحظنا أن الشرط الذى يتدواله كثير من الباحثين المعنين بالأدب الشعبى غير مـتحقق فيـما ننظر فيه من شعـر بدوى ، اعنى اشتراطهم أن يكون المؤلف مـجهولاً ، وأن يحل الراوى محل المؤلف ، فـهذا الشعـر البدوى معلوم المؤلف ، لا صـعوبة على الإطلاق فى نسبته إلى صاحبه، بل إن من أصحابه من يعده قومه شيخاً من شيوخهم،أو كبيراً من كبرائهم ، ومثل أولئك الكبراء ليسوا بمجهولين على القطع .

ومع هذا فإن الشـعر البدوى الذى يحـاول هذا الكتاب أن يعرفنـا إياه لا يزال عليه طوابع شعبية يعرفها من يخبر أطرافاً من حـياة البدو . من تلك الطوابع الشعبية الحكمة التى يزخر بها والتى تستطيع أن تلخص إلى حـد كبير رصيـد هؤلاء البدو من الحكمة التى يتسـلحون بها فى مواجهة الحياة ، وعلى وجوه عدة يستطيع هذا الشـعر أن يمثل لنا حياة البدو تمثيلاً حسناً ، يؤكد أنه ضرب من الشعر ملائم لأصحابه ، مصور لحياتهم .

على أية حال لا نستطيع أن ندرج هذا الشعر البدوى فيما يسمى عادة باسم الشعر الرسمى، ذلك الشعر الذى تهتم به الدراسات الأدبية ، يتنافس فيه الشعراء ، فالطابع البدوى لا يغيب عن القارئ لهذا الشعر ، ملحوظاً من النظرة الأولى .

إلا أن النقاش بيننا ذلك اليوم البعيد قد اتجه بنا إلى منطقة غربية زادت من قيمة هذا الشعر فى نظرنا ، وفتحت له الباب واسعاً لكى يدخل فى رحاب الأدب الذى يسمى رسمياً ، يصبح من صوره وتجلياته .

تلك الوجهة الغربية هى المقارنة بين الشاعر البدوى الذى لا يزال مرتبطاً بقبيلة ، والشاعر العربى القديم الذى كان صوت القبيلة ،ورمزها الجميل ، والتعبير عن قيمها ،وكاتب ديوانها ، تقيم لميلاده الاحتفالات ، وتزهو به وتفخر على القبائل الأخرى .

وفى لحظة خاطفة انتابنا شعور مذهل بأن الشاعر العربى القديم الذى لا نعرفه إلا فى بطون الكتب ، والذى لا نشهده إلا بعين الخيال ، والذى لا نستحضره إلا بإحساس قوى من البعد ومن المفارقة وبإحساس قوى بأننا نجتاز هوة سحيقة لنعبر قروناً ، ونجتاز حياتنا كلها لنصل إلى لحظات مع زهير ، أو الأعشى ، أو لبيد ، أو أبى تمام ، أو البحترى ، أو المتنبى ، أو...... ، على حد تعبير طه حسين فى " حديث الأربعاء" لنقضى " ساعة " مع أحد هؤلاء ، لا يزال - ذلك الشاعر القديم - حياً بيننا .

ويبدو لى أن هذا هو السبب الذى جعل حاتم يحرص فى كتابه على أن يستعرض الشعر البدوى على محك الأغراض الذى طالما استعرض عليه الناقد العربى القديم التراث الشعرى ، فلا يزال المدح ، والهجاء ، والغزل ، والحكمة ، أنحاء فاعلة من القول الشعرى عند الشاعر البدوى الذى يعيش إلى الآن بين ظهرانينا .

وحين بلغنا هذا المدى من النقاش بدا لنا أننا بين احتمالين متباعدين ، الأول ينسب الشعر البدوى إلى الأدب الشعبى ، والآخر ينسبه إلى تقاليد الشعر العربى القديم . وكان الطبيعى أن نعود فنكتشف صلة تقارب بين الاحتمالين ونعود بهما إلى نقطة واحدة . وكانت هذه الصلة قريبة منا ألفيناها أمامنا ونحن نتذكر أن الشعر العربى القديم نفسه فى تقاليده التى نعرف ، وفى منابعة فى القبائل الساكنة بيداء واسعة مرصعة بمدن صغيرة قليلة ، هو جوهره ، شعر ذو طابع شعبى ملموس ، شعبى فى تعبيره عن قيم الجماعة ، وشعبى فى احتفاء الجماعة به ، وشعبى فى تصويره لجوانب من حياتها ، وتسجيله لبعض وقائعها .

ما أعجب ذلك الإحساس بأن زهيراً وأضرابه من الشعراء القدماء لا يزالون أحياء بيننا !.

المتحف يتسع لآثار من التاريخ عليها آثار الزمن طبعها عليها فى عصور طويلة متعاقبة ، أما الشاعر البدوى فليس قطعة من أثر قديم ،ولكنه التقليد القديم يتكرر. وما ألذ أن تتخيل لبيداً، أو طرفة ، يركبان السيارة ، والطائرة ، ويقولان الشعر وفاقاً للتقاليد القديمة .

ومن حسن الحظ أننا فى النقاش الذى تشاركنا فيه ، لم نجعل هذه الفكرة غاية ما لدينا ، ونهاية المطاف لنا ، ولم نستجب طويلاً لإغرائها ، فسرعان ما تداعت إلينا الملحوظات عن الاختلافات البارزة ،والفروق الواسعة، بين الشعر العربى القديم ، وذلك الشعر البدوى الحىّ.

فالقصيدة البدوية لا تجرى على النسق نفسه من تعدد الأغراض الذى تعرفه القصيدة القديمة ، وأين الجهد الذى بذله الشاعر العربى القديم لينشئ للعرب لغة فصحى واحدة يرجعون إليها يكتبون بها ويقرؤون ، ويعبرون عما يكنون ، من ذلك الانطلاق التلقائى للشاعر البدوى مع العامية المتداولة بين أهله وناسه التى تختلف كثيراً عن عامية القاهرة ، وعامية الساحليين ، وعامية بحرىّ مصر ، وعامية صعيدها ، ويزداد الاختلاف إذا أوغلنا إلى سيوة أو النوبة ؟ . وأين الفصاحة المعلومة عن الشاعر العربى القديم التى أسس عليها البلغاء والبلاغيون تراثاً ضخماً من البلاغة ، من البساطة البدوية المحببة التى تجعل الشعر مادة محببة من مواد السمر ؟ . أو أين قول الشاعر البدوى :

ويا راكبين الحمر كلكوا مساكين   واركابكم ما فيش واحد حمدها

من قول طرفه :

وقوفاً بها صحبى على مطيّهم   يقولون لا تهلك أسىً وتجلد

أو قوله :

وإنى لأمضى الهم عند احتضاره   بعوجاء مرقال تروح وتغتدى

أو قول امرئ القيس الشهير :

وقد أغتدى والطير فى وكناتها   بمنجرد قيد الأوابد هيكل

مكر ، مفر ، مقبل ، مدبر ، معاً   كجلمود صخر حطه السيل من عل

وكلها تذكر الحيوان الذى يركبه البدوى ؟ .

غير أن الدكتور محمد حسن عبد الله ما أسرع ما وجه الحوار وجهة أخرى ، ما كنا لنولى صوبها وجوهنا لولاه ، ولولا ثقافته الواسعة ، واطلاعه على أدب أهل الخليج العربى ، ومعرفته المتقنة بألوان شعرهم ، وعادات حياتهم ، وهى الثقافة التى تهيأت له خلال سنوات طويلة قضاها يعمل فى الجامعة فى الكويت ، ولا يكتفى بالجامعة ولكن يتجاوزها إلى معرفة حياة أهل البلد ، وأدبهم ، ويتجاوز البلد إلى معرفة حياة أهل الخليج ، وأدبهم .

أما الوجهة التى اتجهنا إليها فهى وجهة المقارنة بين ذلك الشعر البدوى وشعر آخر يعرفه أهل الخليج ، ويفخرون به ، ويسمونه الشعر النبطى ، ويسمونه ، فى بعض الأحيان ، الشعر الشعبى .

وبحسب المتوقع تداعت إلينا وجوه الشبه .

ولك أن تقارن بين النماذج التى تجدها فى هذا الكتاب ، وبين نموذج أسوقه إليك ، كتبه سلطان خليفة من الإمارات ، وهو إهداء للشاعر على بن سلطان بن بخيت بمناسبة إهداء ديوان " ابن البادية " :

قربت واتصفحت لقوال	وايلا القصايد جوهرية
خير وعلم وأمثال تنقال	ومعنى لطيف وشاعرية
يا مر حبابك عد لمثال	أبدعت من روح نقية
ياحى من هو للخوى يسأل	عانى وشرف بالتحية
حى لكتاب وحى من قال	قول عريب وبه حمية
وأقوال سمحة حلوة الفال	ذربه وللفاهم بخية
ذكرى تسر القلب والحال	وفيها من الماضى بقية
فيها الملاحة تشرح البال	تفرى الخواطر رونقية
هبت بفوع الزهر تنشال	تسبى النفوس بجاذبية
يا بو حسن لك دايم نسأل	ولو شطت الدار العذبة
يعلك بسعد وطيب لحوال	مسرور فى عيشه هنية

(مجلة المنتدى - ديسمبر ١٩٩٤ م - ص ٥٢)

قارن هذا النموذج بنموذج من الكتاب أقدمه الآن عن موضعه :

يا راكب اللي نهب الجرى نهى   مرباه ما بين السهل والجبال

تجعل بهمزات الكعب دون الخزامى   ومرونه تقطع مكين الحبال

يورد غدير ويصدر برأس نقبى   ما عقله بالحبل ويش الرجال

مرباه ما بين الحلاطيم خصى   من ساس بيت الجود . جريه جفال

وليس من شك فى أن التشابه قائم فى اللغة المباشرة ، العامية المزوجة بعبارات من الفصحى وتراكيب لها رصيد قديم من الاستعمال ، أو هى " فيها من الماضى بقية " بحسب تعبير سلطان خليفة . ولقد أتاح الحداء للشاعر البدوى المصرى - عيد أبو مرزوقة - أن يكون أكثر خشونة ، وأكثر خشونة ، وأكثر تصويراً لجو البادية . ولخص الشاعر الإمارتى المثل الجمالى الأعلى لهذا اللون من الشعر فى البيت الثانى :

خير وعلم وأمثال تنقال   ومعنى لطيف وشاعرية

ولا يفوت القارئ أن يلحظ هذه الأمثال التى " تنقال " ليربط هذا المثل الجمالى الأعلى بالشعر العربى القديم الذى أحب الحكمة ، وبلغت به عند شاعر مثل أبى العتاهية ضرب الأمثال ، وليربطه من جهة أخرى ، بالأدب الشعبى ، على المعنى الأكاديمى التقليدى ، وهو أدب محب للأمثال . ولعلك تلاحظ ، كذلك ، أن الشعر علم فى هذا المثل الجمالى أو أنه وعاء يستوعب علماً لا تنفك صلته بالخير لأنه ليس علماً محضاً ولكنه العلم المصور للحياة التى يخبرها الناس ، المستخلص من حكمتهم .

د. مجدى أحمد توفيق

مقدمـــة

سيناء أرض القمر .. أرض الرسالات ، أرض الشعراء ، ولا شك أنها الجنة الوارفة الظلال ، والواحة الغناء ، والبحيرة الزرقاء على شاطئ الفيروز والأحلام يتغنى الكروان ويصدح للعشاق ، وتنطلق النوارس من البحر الأبيض المتوسط لتعلن لخريطة الأدب فى مصر عن حلقة مفقودة من حلقات الأدب الشعبى المصرى العربى .

ولا غرو - فإن البحث فى التراث له مذاقه ونكهته الجميلة والمدهشة ، كما أن الرحلة الشاقة عبر صحراء بادية سيناء - حيث الجمل والناقة والخيمة البدوية وسباق الهجن وغيرها - لها ثمارها ، خاصة وأن هذه الدراسة غير مسبوقة على الإطلاق ، فلم يكتب باحث أو راوٍ أو مؤرخ عن الشعر البدوى وأدب البادية بشبه جزيرة سيناء .

لذا أرجو أن يلتمس القارئ لى العذر إن أخفقت فى احدى جوانب هذه الدراسة ، وذلك لصعوبة الجمع الميدانى وصعوبة البحث والتنقيب عن كنوز الأدب والثقافة فى شبه جزيرة سيناء " شمالها ، وسطها ، جنوبها " . وثمة صعوبة أخرى تكمن فى منهجية البحث الميدانى والجمع والتوثيق واختيار النماذج للوصول إلى بانوراما عامة لأدب البادية .

كما تكمن الصعوبة فى البحث عن الأصول التراثية الأصلية خاصة بعد محاولات الصهيونية العالمية المتمثلة فى فترة الإحتلال الإسرائيلى لشبه جزيرة سيناء وتشكيكها فى التراث والهوية العربية والإسلامية ولطمس معالم المنطقة فى محاولة غير شريفة - لتهويد سيناء بإعتبارها جزء من حلم الدولة الصهيونية الكبرى .

لكل هذا وغيره كانت الصعوبة ، إلا أننى تجشمت هذا العناء ، ولقد سهل علىّ الأمر دراستى فى قسم اللغة العربية بكلية التربية بجامعة قناة السويس ، ولكونى أقرض الشعر ، علاوة على أننى ابن سيناء الأرض والموقع والتاريخ .

وإننى إذ أقدم هذا الكتاب إنما أقدمه لأضع لبنة أولى للبحث عن معالم الشعر البدوى - الشعبى - فى بادية سيناء ، فإن وفقت فهذا حسبى ، وإن تكن الأخرى فعلى المرء أن يحاول وليس بيده وحده إدراك الغايات .

والله الموفق والمستعان ، .....

حاتم عبد الهادى السيد

العريش : ١/١/١٩٩٨



الفصل الأول

الأدب والمجتمع
فى بادية سيناء

احتلت سيناء مكانة مميزة لأسباب دينية وتاريخية ، كما تعرضت لحروب مستمرة تجاوزت تأثيراتها الحدود الإقليمية إلى العالمية ، وحاول الاستعمار طمس معالم انتماء سيناء لمصر والعروبة ، لكن التراث المتمثل فى الموروث الشعبى " الشفاهى " استطاع أن يقف فى وجه تلك المتغيرات المختلفة .

لذلك يقتضى المنهج العلمى تمهيداً أولياً للتعرف على خصائص الموقع والعادات والتقاليد، وعن حياة أهل البادية وذلك انطلاقاً من قاعدة راسخة مفادها : أن الأدب - أولاً واخيراً - لا يخرج مطلقا عن كونه نتاجاً إنسانياً يتأثر ببيئته المحيطة ويؤثر فيها ، فلا يمكن فصل الأدب عن المجتمع كل الفصل من كل الوجوه .

تعريف المجتمع :

يعرف علماء الإجتماع المجتمع Society بأنه : " جماعة من الناس تربط أهلها و أفرادها بعضهم ببعض رغبات مشتركة معاً ، ويعيشون معاً ،ويتبادلون المنافع ويعملون سوياً مدة طويلة للتغلب على ما يواجههم من مشاكل الحياة ، ويتم ذلك بصفة منظمة مما يؤدى إلى اعتبارهم وحدة اجتماعية تحدد العلاقات بين أفرادها نظم اجتماعية معنية ذات أهداف مشتركة .

بينما يعرف المجتمع المحلى Local community بأنه : " جماعة من الناس يعيشون فى مساحة من الأرض تجعلهم فى اتصال مستمر ، يعدهم للتعاون وللعمل على وحدة المجتمع الذى يعيشون فيه ، وعلى تماسكه ، ويتميزون بخبرات مشتركة ومؤسسات خاصة ونظم اجتماعية معينة تنظم العلاقات بينهم ، وكلما نما هذا المجتمع وكبر حجمه زاد عدد أفراده وتعقدت نظمه الإجتماعية .

كما يمكن اعتبار سيناء " مجتمعاً وظيفياً Function alcommunity وهو المفهوم الذى يعرف بأنه :" تلك المجموعة من الأفراد أو المجموعات الذين يشتركون فى وظيفة أو ميول أو رغبات واحدة مثل الزراعة والرعاية الإجتماعية والدين .

وبالتالى يمكن وصف " مجتمع سيناء بأنه مجتمع وظيفى يشتمل على النظم الإجتماعية المختلفة .

سيناء الموقع والمكان :

سيناء شبه جزيرة تحيط بها المياه من كل جوانبها عدا الجانب الشرقى عند حدودها مع فلسطين ، وهى على شكل مثلث قاعدته فى الشمال على البحر الأبيض المتوسط بساحل يبلغ طوله (٣٢٠ كم٢)وضلعاه فى الجنوب على خليج السويس وخليج العقبة بطول (٤٠٠ كم٢) ورأس المثلث يقع عند رأس محمد فى الجنوب على خليج السويس وخليج العقبة بطول (٤٠٠كم ٢) بساحل يبلغ طوله (١٥٠كم٢) أى تمتد سواحلها بطول (٨٧٠كم٢) وتمتد أرضها (٢٧٥كم٢) طول خليج السويس و (١٥٠ كم ٢) طول خليج العقبة .

وتبلغ مساحة سيناء حوالى (٦١ ألف كم ٢) أى حوالى (٩٤٠٠ ميل) ولشبه الجزيرة أهمية استراتيجية عظيمة فهى بوابة مصر الشرقية لجميع الطرق الموصلة بين وادى النيل والأردن وفلسطين والحجاز .

أسماء سيناء :

وصفت المؤلفات القديمة أرض سيناء بعدة أسماء ، فقد سميت جزيرة " طور سيناء " ، كما عرفت فى الآثار المصرية القديمة باسم " توشويت " أى أرض الجدب أو الأرض الجرداء ، وعرفت فى الآثار المصرية الأشورية باسم " مجان " ولعل الكلمة محرفة من الإسم العربى " مدين " أو " أرابيابيترا " [1] أى البلاد العربية الصخرية عند اليونانين ، كما سميت سيناء باسم أرض السين " وهو إله القمر ومعنى " سين" بالعبرية " القمر " لأن أهالى سيناء كانوا يعبدون القمر فى الأزمنة الغابرة .

وذكرت سيناء فى " القرآن الكريم " بأنها الوادى المقدس فى قوله تعالى : " واخلع نعليك إنك بالوادى المقدس طوى " وفى قوله تعالى : " والتين والزيتون وطور سينين " ، وقد أطلق سكان شبه الجزيرة عليها الكثير من الأسماء منها : " أسياد الرمال " فى العصر الفرعونى ،وأطلقت عليهم التوراة اسم " العمالقة " وبعد الفتح الإسلامى أطلق عليهم بنو اسماعيل اسم

---

(١)حضارة مصر وآثارها ، د. عبد العزيز حمودة ، ١٩٨٠ .

" الأعراب " ، وفى العصور القريبة أطلق عليهم " صيادو الصقور" و" عشاق النوراس "[1]

أقاليم سيناء :

تنتشر بسيناء السلاسل الجبلية والمرتفعات والهضاب والبحيرات ، ففى الجنوب تقوم سلاسل الجبال الجرانيتية العظيمة بقممها الشاهقة وتحتل نصف مساحة الجزيرة ، وتوجد سلاسل جبال أخرى من الأحجار الجيرية المعروفة باسم " جبال سيناء " متجهة نحو " وادى العريمين " حيث يخرج منها هذا الوادى العظيم متجهاً شمالاً حيث تصب مياهه فى البحر الأبيض المتوسط بمدينة العريش .

أما القسم الشرقى من الجزيرة فيحوى الكثير من الجبال الصخرية ذات المناظر الطبيعية الخلابة .

ومن أشهر الجبال : " جبل الراحة " ، وجبال " خشم الطرف " وجبال " العجمة " وجبل " طور سيناء " وجبل " القديسة كاترين " و" الجبل الأحمر " وجبل " السربال " وجبل " حمام موسى " وجبل حمام فرعون.

أما عن مناخ سيناء فهو مناخ شبه صحرواى ، وتتراوح نسبة الرطوبة بين (٥٠٪ ، ٧٠٪) كما تتعرض شبه الجزيرة للأعاصير والانخفاضات الجوية فى فصل الشتاء وفصل الربيع .

البدو وأوصافهم الخِلقيّة والخُلقيّة :

يوصف البدوى بالرزانة ورجاحة العقل وحسن تدبير الأمور كما يوصف بالخفة والرشاقة والذكاء وسمرة اللون ، ويتميز بالأنف الأقنى، كما أن النساء جميلات بالفطرة لكنهن قلائل ، ويتميز البدوى بدقة النظر وخفة الظل والحصافة . كما يتميز بالكرم وحب الجار والقبيلة ، إلا أن سمة العصبية هى الغالبة ، والأخذ بالثأر سمة موجودة، والبدوى غيور بطبعه ولا يمكن لرجل أن يتعرض لفتاة أو امرأة والإصارت الأمور على غير ما يحمد عقباه .

عادات أهل البادية :

يسكن البدو فى بيوت تسمى" بيوت الشعر " تصنع من جلود الماعز وبعض فروع الأشجار والنخيل وأوراق شجر العادر وبعض الأشجار البرية وأوبار الجمال وأصواف الخراف .

---

(١) بلدى والأيام أ. محمد سالم أبو سمود، دار الشوربجى للطباعة ،١٩٩٤م

كما يسكنون الخيام لأنهم دائماً فى تنقل مستمر حـــول الكلأ والمـــراعى .. ويصنعـــون " العرائش " لتظلهم وتقيهم حرارة القيظ ويجتـمعون - فى الليل - حولها يشعلون النيران من الحطب ويشربون القهوة العربية الجميلة .

الرعى فى الخلاء :

يخرج البدوى أو البدوية - غالباً - للرعى فى الـصحراء وتنتشر الأغنام لتأكل من الكلأ ، وتجلس البدوية تحت شجـرة تعزف على الشبابة أو الناى أو آلة المقـرون وتنطلق فى غناء عذب يملأ الصحراء الجرداء عـبقاً فتزقزق الطيور وتـتقافز الماعز كالغزالات البـرية الجميلة فى صورة طبيعية غاية فى الروعة والحسن والجمال .

الأسلحة المستخدمة :

يستخدم البدوى أسلحة تقيه من الذئاب والحيوانات المفتـرسة والضالة ، كما قد يستخدمها فى الحروب والـنزاعات التى قـد تنشأ على الكلأ والماء ومن هذه الأسلـحة : " الشبـرية " وهى مثل المطواة لكنها أبلغ تأثيراً وأكثر قوة، والسيوف المحلاة بالفضة وهى أنواع منها :" العجمية " و " الدمشقية أو الشاكرية " و" السليمية " كما يستخدمون البنادق المختلفة وأنواعها: " الفتيلة " و " الشطفة " و" الكبسول " و " رمنتون " علاوة على " الطبنجات " و" السكاكين " وغيرها .

الحياة اليومية العادية :

يستيقظ البدوى فى الصـباح الباكـر ، ويخرج الشبـان لرعى الإبل بينما تخـرج الشابات لرعى الأغنام ، وتستـيقظ النسوة قبل طلوع الشـمس فيصلين ثم يقمن بإشـعال النار فى أعواد الحطب الجافة ، وتصنع البـدوية الخبز " الفطائر الرقيقة " على " الصـاج " وهو عبارة عن " آنية مقعرة من الصفـيح المقوى " فتقوم بوضع " العجين " عليه بعد أن ترققـه بيديها ثم تضعه على الصاج حتى ينضج لتقـدمه طازجاً وبعد الإفطار يشربون الشاى ويخـرج الرجال إلى أعمالهم فى الزراعة وغالبـاً ما تـساعد المرأة فى الزراعة وتربية الدواجن والماعـز والخراف ، وعندما يأتى الظهر يتناولون طعام الغـذاء ويشربون الدخان ويلعبون " السـيجة " وهى لعبة بسـيطة لا تحتاج إلا لبعض الأعـواد الجافة أو بـعض الحصى ، ويتسـامرون وسط المزراع إلى أن تغيـب الشـمس فيمتد السمر وتحلو الأحاديث حول النار المشتعلة .

القضاء العرفى :

اهل بادية سيناء لا يلجأون إلى الحكومة فى شئ ، فإذا وقعت واقعة ما فإنهم يلجأون إلى شيخ القبيلة أو القاضى العرفى لحل المشاكل مهما كبرت أو صغرت وأمره نافذ ولا يمكن رفضه وإلا طرد الرافض من القبيلة، ولكل قاض اختصاصات معينة ويحكم فى القضية فهناك قاض للقتل وقاض للسرقة وغير ذلك فإذا لم يعترف المتهم بجريمته فإن القاضى يحوله إلى " المبشع " " للحس البشعة " أى بدلاً من أن يحلف ، يتم تسخين آنية معينة حتى تَحْمَرّ من شدة الحرارة ويقال لمرتكب الجريمة :إلحس هذه النار بلسانك " فإن كان برئياً فإنه " يلحسها بلسانه " وبإذن الله لا يصيبه شئ أما إن كان مجرماً حقاً فإن النار تخرسه وتجعله أخرساً إلى الأبد واغلب مرتكبى الجرائم يعترفون بفعلتهم قبل لحس النار لأنهم يعلمون النتيجة .

السياحة فى سيناء :

تكتسب سيناء اهتماماً خاصاً فى الديانات المختلفة لما تحويه من آثار دينية وتاريخية تتمثل فى " دير سانت كاترين " والذى يحوى مكتبة تضم آلاف المخطوطات الأثرية العظيمة باللغات السريانية واليونانية والعربية ، علاوة على وجود " الكنيسة الكبرى " وهى من أقدم الآثار المسيحية فى صحراء سيناء وتعرف بكنيسة " الإستمالة " وهى إحدى كنائس العالم الهامة ويرجع بناؤها إلى عهد الإمبراطور " جستينيان " فى القرن السادس الميلادى ، كما توجد مكتبة " الأيقونات " وهى عبارة عن صور زيتية تعبر عن أهم أحداث العهدين " القديم والحديث " ، كما توجد شجرة " العليقة المقدسة " وتوجد بداخل الدير حيث المكان الذى كلم " موسى " - عليه السلام - ربه فى وادى " طوى " كما ذكر ذلك فى " القرآن الكريم "، هذا إلى جانب وجود السياحة التاريخية كالطريق الحربى القديم " القنطرة - رفح " ويسمى طريق " حورس " وطريق " المحمل " ، وقد عنى السلطان " قنصوه الغورى " (١٥٠١ - ١٥١٦م) بتمهيد هذا الطريق الذى استخدمته "شجرة الدر"عام ١٢٤٨ م فى زيارة الأراضى الحجازية .

وعن أهم الآثار الفرعونية نجد " وادى المغارة " وعليه نقوش بالهيروغليفية ويستخدم هذا الوادى لتعدين الفيروز وبه تمثال كبير أقامه الملك " سمرخت " آخر ملوك الأسر الفرعونية الأولى (٥٢٩١-٥٢٧٣ق.م) تمجيداً لإله سيناء المقدس .

كما يوجد بسيناء معبد " سرابيت الخادم " والذى يرجع إلى الأسرة الثانية عشر وما بعدها من الأسر ، ويوجد بالمعبد كهف الإله " هاتور " (حت - خور) من عهد الملك " سنفرو " وكهف الإله " صفدور " وهو من آثار الملكة "حتشبسوت" علاوة على وجود الكثير من الآثار الإغريقية والرومانية والبيزنطية وبعض القلاع كقلعة " لحفن " وقلعة " المغارة " وقلعة " صلاح الدين الأيوبى " وقلعة " سليمان القانونى" ١٥٦٠ م .

كما توجد بشبه جزيرة سيناء قلعة " نخل " وهى إحدى القلاع التى شيدت فى عصر السلطان " قنصوه الغورى " وقلعة " الفرما " التى شيدها " المتوكل على الله " وبعض القلاع الأخرى كقلعة " المحمدية " وقلعة " خربة الرطيل " وقلعة " قاطية " وقلعة " البلاج " وقلعة " الطينة " وقلعة " ثاور " وقلعة " جزيرة فرعون " .

ومعلوم اشتهار سيناء بالسياحة الترفيهية مثل سياحة الغوص في " شرم الشيخ " ومنطقة " رأس محمد " و" نويبع " وتعتبر منطقة " رأس محمد " من أجمل بقاع الدنيا وتنتشر مراكز الغطس بمنطقة " دهب "

وتنتشر كذلك رياضة الإنزلاق على الماء، وتوجد بسيناء المياه الكبريتية مثل"عيون موسى " و" حمام فرعون " وتستخدم هذه المياه الكبريتية فى الاستشفاء من الأمراض الروماتزمية وبعض الأمراض الأخرى ، وتصل درجة مياه " حمام فرعون " حوالى (٧٢) درجة مئوية) .

ونجد فى سيناء شواطئ البحر الأبيض المتوسط الجميلة والممتدة من مدينة " رفح" حتى مدينة " القنطرة شرق " وتنتشر فى المساء طيور النورس البيضاء وأسراب طائر السمان المهاجر من أوربا لتهبط آمنة فى أحضان " محمية الزرانيق " وفوق شواطئ " بحيرة البردويل " وشواطئ البحر المتوسط الساحرة[(١)]

سيناء والتاريخ :

لم تحظ بقعة فى العالم بمثل ما حظيت به سيناء ، فهى المسرح التاريخى الذى شهد فصولاً متعاقبة من الأحداث التاريخية نظراً لما تمثله من أهمية استراتيجية فى خريطة العالم " قديمه ووسيطه وحديثه " .

فها هى الأسرات الفرعونية تعرف عظمة سيناء، فحين تعرضت مصر لغزو " الهكسوس"

---

(١) سيناء أرض الفيروز د/ قدرى يونس العبد مطبوعات ، الهيئة الإقليمية لتنشيط السياحة محافظة شمال سيناء ١٩٨٣م.

(١١٦٠-١٥٨٠ق.م) استنفرت مصر قواها معلنة على لسان حاكم "طيبة "(سيكننرع -كاموس - أحمس) حرباً شديدة الضراوة تنتهى بطرد " أبوفيس " قائد جيش الرعاة ، كما عبرها " تحتمس الثالث " بجيشه قاصداً بلاد " الآسيويين " لردع المغيرين على حدود مصر الشرقية ، كما قاد " سيتى الأول " (١٣٠٤ - ١١٩٥ ق.م) جيش مصر حيث كان متوجهاً لبلاد الحيثيين ليؤدب الطامعين فى أرض الكنانة .

أما فى العصر الوسيط فقد أشرق الفتح الإسلامى على " مصر " عام (١٨هـ - ٦٣٨م) بقيادة " عمرو بن العاص "حتى سقطت قلعة " الفرما " أمام المسلمين بعد حصار دام شهراً ، وعبرها الصحابة رضوان الله عليهم لفتح شمال أفريقيا عام ٤٦٧ هـ ، كما عبرها " صلاح الدين الأيوبى " لفتح " بيت المقدس " . وفى العصر الحديث وقعت سيناء فريسة لأطماع الصهيونية العالمية المتمثلة فى المستوطنات الإسرائيلية وقيام دولة اسرائيل فكانت حروب (١٩٤٨) و (١٩٥٦) وحروب الاستنزاف ثم حرب ١٩٧٣ م لتعود سيناء إلى أرض الكنانة أرض مصر الخالدة فى ٢٥ أبريل عام ١٩٨٢ م .

المرأة البدوية :

كفل دستور البادية للمرأة حقوقاً وحفظها القضاء العرفى ، والفتاة دائماً ممسوكة " محتجزة " لابن العم ، ولا بد لابن العم أن يوافق على زواجها إذا تقدم لها أحد غيره ، وفى هذه الحالة يدفع الغريب مبلغاً من المال ترضية لابن العم .

والبدويات يلبسن الثوب السيناوى الجميل الزاهى الألوان ويتمنطقن بحزام أسود أو أبيض حول الخصر ، ويضعن " البرقع " على الوجه ولا يظهر منهن إلا العينان ، ولكننا نجد الكثير من البدويات يغرمن ويولعن " بالوشم " فيشمن الشفة السفلى وظاهر اليدين (أى يقمن بصبغها بالألوان) ومن ظهر الكف إلى المعصم ثم إلى الكوع وقد يشمن الخد بدقة بصور مختلفة على سبيل الزينة والجمال . وتضع فى أنفها بعد أن يتم تثبيته بطريقة معنية حليا يسمى " الشناف " وحلقا يسمى " المخرطة " وهو من الذهب ، وتخلع الفتاة " الشناف " بعد أن تتزوج فإذا بلغت الفتاة سن الثانية عشر يسمح لها بدق" الوشم"على ذقنها وهو على شكل(٦) نقاط مقابل (ثلاثة) أخر ، والمرأة تشارك الرجل فى الرعى والزراعة كما تشاركه فى الرقص والغناء فى السامر السيناوى .

السامر السيناوى :

وهو بمثابة " الأوبرا البدوية " أو " المسرح البدوى " وهو يُقَام فى أيام محددة أو فى الأعياد والمواسم حيث تجتمع النساء والرجال فى بقعة محددة من الأرض فالبعض يرقص ويغنى والبعض يتسابق على الخيل الأصيلة والبعض يجلس حول النار ليشرب الشاى والقهوة ويعلو الغناء ومبارزة السيوف فى جو يسوده الحب والنظام وليس الفوضى والاختلاط المبتذل فالكلمة لها حسابها وهم فى ذلك أقدر لأنهم أهل الفصاحة والبلاغة والبيان .

الآت الطرب فى سيناء :

أهل سيناء أهل مغنى وطرب وأشهر هذه الآلات :

* الربابة : وهى تشبه الربابة المستعملة فى السودان والأقطار الأخرى .
* الشَبَّابَة : وهى المعروفة فى مصر بالصفارة .
* المقرون : وهو معروف فى مصر بالزمارة .

* * *

كانت هذه مقدمة لا بد منها لأنه - كما أسلفنا - لا يمكن فصل الأدب عن المجتمع ولا يمكن دراسة شعر البادية بمعزل عن التعرف على السمات العامة لسكانها وهى نبذة مختصرة عن حياة البادية ، فسيناء بوابة مصر الشرقية وأرض الحضارة والتاريخ ، أرض البطولات والشعر والجمال .

الفصل الثانى

أدب البادية

الشعر والغناء



بدو سيناء أهل سمر ومغنى ، ولكن قبل أن نتحدث عن أدب البادية لا بد أن نناقش قضية لفظية مهمة ، فقد يحلو للبعض تسمية شعر البادية السيناوى " بالشعر النبطى " وهذه تسمية خاطئة .

يقول الشيخ الإمام " محمد بن أبى بكر بن عبد القادر الرازى - رحمه الله - فى معجمه اللغوى " مختار الصحاح " بأن " نبط " " ن ب ط " الماء نبع وبابه دخل وجلس، و" الاستنباط " الاستخراج .. و" النبط " بفتحتين و " النبيط " قوم ينزلون بالبطائح بين " العراقين " والجمع " أنباط " يقال : " رجل نبطى " و " نباطى " و " نباط " مثل : " يمنى " و " يمانى " و " يمان " وحكى يعقوب : " نباطى " بضم النون[١]

إذن التسمية للشعر البدوى فى سيناء بالشعر النبطى تسمية خاطئة لأن (النبط) - كما أسلفنا - قوم ينزلون بالبطائح بين " العراقين " وليس بشبه جزيرة سيناء . ومملكة " النبط " مملكة سامية عظيمة يتكلم أهلها اللغة " الآرامية " واستقروا فى " البتراء " وامتدت مملكتهم من دمشق والشام إلى وادى القرى قرب المدينة المنورة شمالاً وجنوباً ومن بادية الشام إلى خليج السويس شرقاً وغرباً وشملت شمال غرب جزيرة العرب وسيناء [٢]

وهم يتحدثون بالآرامية فى حين نجد الشعر البدوى مكتوباً باللغة العربية (اللهجة السيناوية) فتصبح تسمية الشعر السيناوى بالشعر النبطى تسمية خاطئة .

وإنما يمكن أن نسمى الشعر فى بادية سيناء " شعر البادية " أو " شعر بادية سيناء " ، أو " شعر الأعراب بسيناء " أو " الشعر البدوى السيناوى " وما إلى ذلك .

وأدب البادية غنى بموضوعاته وأغراضه لأنه يرتكز على أرضية صلبة ألا وهى التراث الأصيل للبادية ، وقد سمى الشعر - قديماً ديوان العرب لأنهم كانوا يرجعون إليه عند اختلافهم فى الأنساب والحروب وإجراء الرزق من بيت المال ، كما يرجع أهل الديوان إلى ديوانهم عند اشتباه شئ عليهم ، أو لأنه مستودع علومهم وحافظ لآدابهم ومعدن أخبارهم ! !

---

(١) مختار الصحاح ، أبو بكر الرازى طبعة مختصرة القاهرة ١٩٧٠م .
(٢) سيناء المصرية عبر التاريخ . ابراهيم أمين غالى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٦ .

وقديماً قيل : " إن الله اختص العرب بأربع : العمائم تيجانها ، والجن حيطانها ، والسيوف سيجانها ، والشعر ديوانها ".

فالشعر هو قاموس البادية المؤرخ لأحداثها ووقائعها وأبطالها وهو الصدر فى المجالس والجوهرة فى ليالى السمر ، به تزهو القبيلة ، وبه تخلد ، وبه تصبح لها الغلبة والسيادة .

والشعر البدوى شعر " شفاهى " لم يكتب بعد ، وقد اندثر أغلبه نتيجة لموت رواته وغلبة المدينة على البادية ورحيل أغلب أبنائها وهجرتهم .

لذا كان البحث عن أصول هذا الشعر شئ ليس بالمستطاع ولا السهل ، خاصة أن رواته - الموجودين الآن - لا يزالون يسكنون فى بيوت الشَّعَر فى وسط سيناء فى الجبال ، وفى أعماق الصحراء الشاسعة . ولكن الصعوبة لا تمنعنا من أن نفرد فصلاً فى هذا الكتاب عن اللهجة وكيفية قراءة ونطق الحروف والجمل والكلمات حتى يمكننا أن نفهم مغزاه علاوة على أننى سأقوم بشرح الأبيات شرحاً إجمالياً يقرب للقارئ المعنى العام ، أما أن أقوم بدراسة لغوية لمفردات هذا اللون الشعرى - الحديث على القارئ نسبياً - فهذا أمر يحتاج إلى بحث منفرد ولكننى حاولت قدر الإستطاعة وبشئ من الإيجاز توضيح السياق العام والشرح الإجمالى لهذه القصائد الجميلة .

إن البادية غنية بمفرادتها التراثية الجميلة وغنية بجمالها وكنوزها فلننهل منها حتى نرتوى ولنسلط الضوء على حلقة مفقودة من شعرنا الشعبى المصرى .

الفصل الثالث

الشعـــر البـــدوى الســـيناوى

يمكن أن نقسم الشعر والغناء عند البدو إلى أربعة أنواع :

أولاً : القصيد .

ثانياً : المواليا .

ثالثاً :حداء الإبل .

رابعاً : غناء الرقص وهو أيضاً ثلاثة أنواع :

١- الدَحيَّة .

٢- المشرقية

٣- السامر وهو نوعان :

أ - الخوجار : وتبدع فيه النساء .

ب - الرزعة : ويبدع فيه الرجال .

هذا إلى جانب بعض الأغانى الخاصة بموسم الحصاد ورؤية الهلال ، علاوة على وجـــود " البدَّاع " الذى يرتجل الشعر وغيره من الألوان الأدبية الأخرى .

وقد ظهر تقسيم آخر للشعر البدوى إبان حركة الهجرة الداخلية نتيجة للاستعمار فوجدنا الشعراء فريقين :

١- شعراء الهجرة أو " المهجر " وهؤلاء هم الذين نزحوا فارين من بطش الإستعمار .

٢- شعراء الصمود أو الشعراء الصامدين وهؤلاء هم الذين ظلوا كما هم تحت حكم المستعمر الغاشم .

ومن الملاحظ أن الكثير من القصائد البدوية تبدأ أو تنتهى باسم " الله " عز وجل ، والصلاة على النبى الكريم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .

ولنا فى السطور التالية أن نوضح هذه الأقسام ونبين مدى الجودة والدقة فى اختيار الألفاظ المستخدمة لابن البادية الشاعر البدوى الأصيل .

وسنختار بعض الأمثلة على سبيل المثال لنوضح الفرق بين هذه الأقسام المختلفة .

أولاً : القصيد

وهو أجود أنواع الشعر ، بل هو - على الأخص - ديوان الشعر البدوى المتخصص ، ينشده البدوى على أنغام آلة الربابة الموسيقية الممتعة ، وأغلبه فى المدح ، وهو يتناول موضوعاً معيناً ويبدأ الشاعر فى الحديث عنه متخذاً من أغراض الشعر العربى - من مدح ووصف وفخر وغيره - مطية له ويختتم القصيدة - فى الغالب - بالحكمة أو بقيمة فاضلة ، وهنا يصبح للشعر دوراً اجتماعياً يخدم قضايا البيئة والواقع المحيط .

ولنا أن نتخير بعض النماذج لشعراء " القصيد " وأول هؤلاء يطالعنا الشاعر " عنيز سالم " كبير شعراء البدو وأميرهم .

ونرى شاعرنا فى قصيدته " العصفور "والتى كتبها وهو فى السجن - حزيناً يتنازعه والعصفور هم مشترك فى البحث عن معنى الحب والحرية والعدالة ومناسبة القصيدة أنه لاحظ فى سقف زنزانته عصفورين أحدهما يناجى الآخر ، وذات مساء غاب أحدهما عن الآخر ، فظل العصفور يشارك شاعرنا فى حزنه إلى أن عاد رفيقه فاستأنفا تغريدهما ، فحرك ذلك فى شاعرنا كوامنه ولواعج شوقه لزوجته فكتب يقول :

ياطير مشين طبعك	عقب تغيبك مانت منطاق
مشين طبعك يا طير	طول ليلك تقاقى
يا طير أنا للعلم مشتاق	وقلب الخطاطير زى مانت هاق
يا طير ما طبيت لى يم برشاق	ولا الظلل جيته وروس الزلاق
وضفت الفريق اللم به السمن دفاق	عز الطيب ومنوه من يلاقى
ولا وردت العين وهاذيك الاطباق	وداج خللى والصديق الوفاق
يا طيرما قَصبّت لى جُرّة ثياق	فى اللتح ولا مقوطرات الملاق
لىّ بكرة شقرة مع الذود ملهاق	غصب على خليتها وهى ملهاق
فى الليلة اللى شرها ما ينطاق	الله لا يبلى بليل الفراق
دقيق الذرعان ومد ملج الساق	دمعه يدر ما ينزحنه سواقى

وأميـه تجـرى العلم مع كل سـواق	وتنشـد اللى نشـدته مـا تطاق
وأختى وراى تبدل الـضحك بزعاق	ودموعهـا ما ضلت لهن بواقى

ونلاحظ أن الشاعـر قد بدأ قصيـدته بمخاطبة الطائر الحزين على فـراق عشيقـته ، ثم نرى الأثر النفسى عندمـا سأل الطائر العائـد من رحلته قائلاً : " ألم تمر تجـاه دبارى وأطلالى حيث الكرم والخير الوافر وحيث الأهل والأحباب ؟!"

ونراه يشبه زوجـته بأنثى الجمل " البكرة " حيـنما قال للطائر : أو ما رأيت ناقـتى الشقراء " يعنى زوجته " بين آثار الجمال وأنت حر طليـق ؟! ثم نراه يصور حزن والدته وحزن أخته التى تبدل ضحكها بالنواح والعويل ليلة أن أخذ للسجن ، إنه الشاعر الذى حَرَّقَتْهُ المواجد ، ونازعته الهواجس فـخرج شـعره متـرقرقاً متألقاً يزهـو كالدرر ويعلوكالتـيجـان . واننى أُذَكِّرُ القارئ الكريم بأننى سأكتفى بالشرح الإجمالى للقصيدة - فى هذا المضمار.

ولنا أن نتخيـر نموذجاً آخر للشاعر " عـيد أبو عودة " شاعر قـبيلة " الدواغرة " وهو يوصى أبناء قـومه بأن يتـقـوا الله ويعلموا أن الـدنيا غـرور وأنه يجب أن يكون الفـرق واضحـاً بين الرجال " الأخيار " والرجال " الأنذال " وضرب لـنا مثلاً لهذا الفـرق بين الجـــمل " الهجين " (الظروبة) الأصيلة كالرجل الأصـيل وبين " العكد الأحمر " وهى الجمال التى تسـتخدم فى حمل الأثقال فقط ، كما ينصح الشـاعر بأن ننهى النفس عن الهوى ونطيع الرحمن ونمشى فى الأرض بقوانين وقيم يقول شاعرنا : [1]

يارب يـامـســـــيــــر الريح والـغين	ارسل عـلينا الغـــول يـنزل بـردها
والدنى فـيـهـــا نعـيش كلنا غـريبين	ويسـاعد الـلى عاش فـيـها وعـبـدها
ويا ويلهم الـلى يشـهـدوا بقـلة الدين	والناس فـيهـا اليوم كـثرت حسـدها
واعلمــتـهم يتـخـرفـوا فى الدواوين	ويقـولوا الظروبـة مـا تقـادى عكدها
ومــفـــسلين هدومـــهم للمـــزايين	وفى عـقولهم أن اركـابهم ما بعـدها
ومـســـويين رجـال عند الـنسـاوين	ولتـقـوله علـى المشـبـحـة مـا وردها
وياراكــبين الحـمـر كلكوا مـســاكين	واركـابكم مـا فيـش واحد حـمـدها

---

(١) نشرت هذه القصيدة بجريدة سيناء الإقليمية بإشراف أ/ عبد أبو مرزوقة ، فبراير ١٩٩١ م

ولا يصير جد السـوق والناس مشحين	من يوم ولا اثنين يبطل جـهـدها
وعن حـومـة الميدان خلـكوا بعـيـدين	هيل الظرايب دوم قايم سـعدها
وطول المســافــة تفـرز الـشين والزين	وتبين اللى بالقص حافظ عددها
واخص على اللى يـتبـع النفس والعين	ويمشى طريق اتعيبـه لا قصـدها
ويعـيش وسط الناس مـذلول مـسكين	ويظل عـينه راقـدة من بـعـدها
واشـبـه اللى مـرافـقين الشـيـاطين	مـثل البـهـيمـة يوم تنفـر ولدها
ويا سـامعين القـول شـوفـوا العناوين	واصحـوا تماروا نفوسكوا عندها
ولحكمــة الرحـمـن خلكوا مطيـعين	الله يـنجى نفـوسنا من نـكدها
والمسعـد اللى يـظل مـشيـه بقـوانين	ويحل كل عـقـد غـيره عـقـدها
والطيـبـة للى نـشـاها مـعـاوين	*والعاطلة ما فيش واحد حمدها*
واختـم كـلامى بالنبى الهـادى الزين	نور المدينـة ونور مكـة وبلـدها

وبنظرة تحليلية بسيطة لهذه القصيدة فإننا نلاحظ أن الشاعر بدأ قصدته بالمناجاة لخالقه فى قوله : " *يا رب* " *وقد استخدم* أداة النداء للتنبيه على أمر يود أن يقوله فهو يطلب من الله الذى يسير الرياح والغيوم أن يرسل عليه الغوث "المطر"، وهذا المطر ينزل كالبراد(الثلج) ثم أن هذا المطر سيساعد المزارعين وهو هنا خص طائفة من العابدين الذين اتقوا الله فى أنفسهم وخافوا الله .. إلا أننا نرى الحكمة - فى البيت الثالث - تتجلى فى طلب الشاعر للعدل وعدم شهادة الزور والبعد عن الحسد والكلام فى الدواوين " مجالس البدو " عن هذا وذاك ، والبعد عن إذكاء روح العصبية القبلية .

والشاعر هنا يستخدم صوراً بلاغية بيانية كاستخدام الكناية بكثرة كقوله :" يتخرفوا فى الدواوين " كناية عن كثرة الكلام ، وكقوله : " يقولوا الظروبة ما تفادى عكدها " كناية عن الأخيار والأنذال ، وكقوله : " ومسوين رجال عند النساوين " كناية عن قلة المروءة فى سوق الرجال ، فالرجل لا يظهر الشدة فى مجالس الرجال ويظهرها فى مجالس النساء وهذا ليس برجل .. كذلك يستخدم الشاعر الطباق فى قوله " تفرز الشين والزين " أى الشئ القبيح والجميل ، كما نرى المقابلة الجميلة فى قوله : " والطيبة للى نشاها معاوين ، والعاطلة ما فيش

واحـد حمـدها " ونلاحظ القافـية التى تنتـهى بالنون فى صـدر البيت الأول ثم توحـدها وكل صدور الأبيـات تنتهى بالنون بينمـا العجـز ينتهى بالهـاء وهذه تعطينا تصوراً عـاماً لمدى تمكن البدوى من امتلاك أدواتـه الشعرية وتطويعها لخدمة الـقصيدة وترابطها فى وحدة فنيـة متناسقة علاوة على الموسيقا الداخلية للقوافى وللجـمل والكلمات ذات الفونيم الصوتى المتناغم ، كما نلاحظ قوة القصيدة فى انتظام حركـة الروى " الهاء " فى آخر الأبيات لتدل على عدم التكلف وانسيابيـة الكلمات ، فالألفاظ تخرج على سجـيتها ، ثم نلاحظ ملاحظة طريفـة فى استخدام الشاعر لحرف العطف فى أول الأبيات فنجـده فى أول كل بيت قد استخدم الواو : " والدنى - ويا ويلهم - واعلمـتهم - ومـغـسلين - ومسـويين .. وهكذا حتـى آخر بيت فكأنه يسـتخـدم قصيـدة هندسية كل ما فيـها محسوب بدقـة ومهارة ونرى أن استـخدام هذا الحرف فى عطف الجمل قـد يجعل السامع يمل فى كـثير من الأحـايين ، إلا أن الشاعر البـدوى نجح فى توظيف حرف " الواو " فى استخـدامات مختلفة فهـو قد يدخل على أداة نداء وقد يدخل على اسم أو فعل أو مصدر وهذا التنوع استطاع فيه الشاعر البدوى أن يكسر حدة الملل ويجعلنا لا نلاحظه على الإطلاق وهذه قمـة الفصاحة وقـوة الكلمات ، كذلك نلاحظ كثـرة استخدامـه للأسماء سواء أكـانت أسماء أعـلام أم الأسمـاء المطلقة ، فقـد استخـدم حوالى " تسـعين اسما " كـما استخدم ما يقرب من (اربعين فعلا) سواء أكان " ماضيا" أم مضارعاً أم أمراً " كما استخـدم " الواو " أكثر من خمسة وثلاثين مرة ، واستـخدم أداة النداء خمس مرات ، واستخدم حروف الجر أربعـة عشر مـرة ، واستخـدم الجمل الحـالية كثـيراً كمـا فى قوله :" نعيش كـلنا غريبين " وكقوله :" ومغسلين هدومهم " وقوله : " ومـسويين رجال عند النساوين " وقوله : " يا راكبين الحمر كلكوا مسـاكين " وكقوله:" اللى مرافقين الشياطين "وغـيرها من الجمل والأساليب التى تمتلئ بها القصيدة.

إن هذا الرصد الدلالى - الإحـصائى - المبسط إنما نجـريه لنرى الظاهرة الشعـرية عن قرب ومدى استخدام الشاعر البدوى للفظة ودورها فى تأكيد قيمة جمالية معينة تخدم السياق العام فى القصيدة ، كما يستخدم البـدوى المجاز والمحسنات البديعية من سجع وجناس وطباق ومن علوم البيـان والبديع والمعانى يستـقى صوره فهو بالطـبع مفطور على البلاغة العـربية والدليل على ذلك هذه التأملات البسيطة للنموذج السابق .

إن الصورة الشعرية - عند الشاعر البدوى - كل متكامل لا يفصلها فاصل ، ولهذا تخرج القصيدة قوية المعنى والمبنى ، عـلاوة على جزالة الألفاظ ودقة التشبيهات وجـمال الإستعارات

وأهمية التكرار النمطى لـلمفردة أو الحرف كنموذج للتأكيد على القيم الجماليـة العامة وذلك فى إطار عـام سهل الأسلوب وهذا الإطار يسير فى تـسلسل دقيق دون ملل أو كلل كـذلك يستـخدم البـدوى الجرس الموسيقى - السـماعى - والذى فيـه يحافظ على الأوزان الخلـيلية للشعر العربى لذا كان هذا اللون الشعبى امتداداً للأدب العربى بأغراضه وألفاظه وإن اختلفت أساليب التناول والعرض ، حيث يستخدم البـدوى اللهجـة العاميـة - البدوية - المتـمثلة فى كلامه اليومى غير المتكلف مع الاحتفاظ برصانة وقوة بناء القصيدة والمحافظة على " التصريع " أو اتحاد صـدور الأبيات علاوة علـى الموسيقـا الداخلية والإعتـماد على الألفـاظ ذات الجرس الموسيقى الطنان الرنان الذى يصك الآذان ويجعلها تـتمايل فـى استحسان ممتـد حتى نهـاية القصيدة .

والقـصيدة وإن كـانت تتحدث عن مـوضـوعات متـفرقـة - فى الظاهر - إلا أن هذه الموضوعات يجمعها هدف وخيط واحد تسعى إليه ، ومن هنا كانت القصيدة سلسلة متصلة الحلقات ، مترابطة الفقرات والأفكار ، قوية فى المعنى وقوية فى البناء وسنسـوق أنموذجاً ثالثاً لنتعرف مدى عمق التجربة الشعرية ، وهذه القصيدة للشاعر / عقاب العجرمى وهى مشابهة لقصيدة الشيخ عنيز سالم " - التى أسلفناها - وذلك فى المضمون ومناسبة القصيدة .

فقد أَرَّقَ الوجد هذا الشاعر حينما رأى حمامتين تغنيان بأعلى أغصان الشجر فذكّره ذلك الغناء بقصة حبه فقال :

حـمـام يلى تدعـج الصـوت بالجـون	نوحـك طرب مـــانتى مـــثلـم مــعنى
بالورق نوحـك زادنى هم وشـجـون	ارجيك ارجيك خـفف لوعـتى لا تغنى
أنت مـريع وبين غـدران وغـصـون	وأنا عـليل وخـــاطرى مــــا تهـنى
مـا يجـتمع بالورق سـالى مشطون	كف النواح أجــزيك بالخـيـــر عنا
بالورق أنا والله فـلاتى ومـجنون	يوم أشـــتكيلك خـــاطرى وتمنى
أنا أشتكيلك وأكثر الناس يشكون	ومـن صـــويـه منهـم من الحب ونـى
أنا عليل الحـــال بالى تعـرفــون	مــا ارتحت سـاعـة من سنين مـضنا
أبكى على ناس من الحب يبكون	حـــــدر ظعـنهـم يوم سند ظـعـنا
أوقـفت اراعـيـهم وهم لى يرعـون	وحــســبى على من هو علينا تجنى
وعـوث كنى بين الضلوع مطعـون	مـــثل اللى صــوب براس المحنى

وعـــادوا وهم فى كل خطوة يلدون | أمـــست قــفــر مــا كنهــا من وطنا
صـــارت كــمــا الأطلال لكى يمرون | أرض خلــى ممرها مـــــــا تونـى
وما عاد فيها غير كثبان ومجون | ومـا عـاد فـيـهـا إلى الريح هدم وبنى
أفـقت لبـالى العـمـر والسـر مكنون | أضـــحت حـــوابى وسنين مـــضنا
والله لولا الرجا بالله قوى ومأمون | لموت من هم حـــملتـــه مـــثنى
ميتة جزع والله ترى الموت مسنون | علم ثبت مــا بيـــه هفـــوف وظنه

فـهنا الشـاعـر يصف حاله ، ويشكو للورقـاء لوعـة الحب وسـهامـه التى أصابت قلبـه فـأدمتـه وجعلته صريع الهوى والجوى ، كما أنه أصبح كالأطلال المقفرة فلم يعد له فى الحياة غير الكثبان الرملية المتسعة وهذا البراح الوسيع، ويصف فى النهاية خوفه من الله، فلولا هذا الخوف لقتل نفسه وأراحهامن هموم الهوى والحب .

وهذا شاعرنا "سليمان عياط" يتحدث عن الشعر وأنه يأتى خلاصة الفكر ونتـاج التجربة ، وهذا الرجل مولع بجمع التراث ونشره سواء فى الصحافة أو فى الإذاعة يقول شاعرنا [(١)] :

الشـعـر عـسـر ومـثـل در البـحـار | ومـا هو تحـوش هرج وتخـبط أخـبـار
ونخـتـار من زين المعـانى اخـتـيـار | ونقطف من البـســتـان ورد ونــوار
والشــعـرمـا هو بالمزاج التـجـارى | ولا كل واحـد يفـهم بنظم الأشـعـــار
والشـعـر عـسـر مـثـل در البـحـارى | ومـا يجيب من مـاس البحـر كل بحار
ويا راكب إلى جـــاهر للطوارى | ولد لا شـعـيل ويـسبق الطيـر لا طار
مــا عـــمــره وقف بين بايع وشــارى | ضــارى على قطع الفـيـافى والقـفـار
وناخـذ من شـعـر البـادية بالاختـيـارى | وشعـارنا خبيرين بنظم القوافى والأفكار

وشاعرنا يصف الشعر بأنه عسير وليس بالشئ السهل ، وبأنه كذلك موهبة ويحتاج إلى خبـرة ودراية، فليس كل عـالم شاعـر ، فالشـاعـر كالنحلة التى تمتص الرحيق من الورود ، فـيخرج لنا شعراً " كالدرر واللآلى، وهنا الشـاعـر يؤكد على قـيـمـة فـاضلة فى نظم الشعر

(١) جريدة سيناء أدب البادية ، سليمان عياط ، ديسمبر ١٩٩٣ م

وهنا يذكر بقول الشاعر العربى :

الشـعـر صـعب وطويل سلمـه	إذا ارتقى فيه الذى لا يعلمه
زلت به إلى الحضيض قدمـه	يريد أن يعربـه فيعجمه

والشاعر البدوى - البدو عموماً - متدين بطبعه ، يصلى فرضه ويصوم ويأتمر بأوامر الله ورسوله ، وهذا الشاعر الشيخ مصلح سالم بن عامرٍ شاعر قبيلة العوامرة إحدى قبائل التياها والذى قضى شبابه يرعى الإبل وينتقل من وادإلى واد ومن سهل إلى آخر ، يطلق عنان فكره فى اللانهائى فى أعماق الصحراء ، يتأمل جميل صنع الله في الكون فجعل ينشد مردداً :

يارب يا خلاق سبع السموات	ورفعتهن بأسرار قدرة قوية
سبحانك يا باسط أرض وفلوات	وبقدرتك جمدتها فوق ميه
لك الحمد يا خالق نجوم عليات	نور ومنافع والسما بهن زهية
خلقت القمر والشمس دوماً منيرات	يتعاقبن عالكون دوماً سوية
سبحانك يا خالق جبال عصيات	وأرسيتهن عالأرض من كل نية
وجعلتهن للأرض تقل مرسات	خوفاً تميد بنا على أى نية
وسكنت بوعرهن وحش الفلاوات	تعلم عددهن يا عليم الخفية
وسبحانك يا خالق أشجار كثيرات	مشكلات الكون ظل وفية
متخالفة فى الطعم والثمارات	فيهن لذيد والبعض سم حية
وفيها أشجار للمرض والعلاجات	وخالق أعشاب للمراعى شهية
سبحانك يا سايق مزون رويات	تروى بلاد للمغالى عزية
لك الحمد يا خالق قلوب ضعيفات	مالهن على صوب المظاهر رويه
لا أقبل جيوش الأعادى بزافات	حرواى ردى الحال ينسى خويه
ولك الحمد يا خالق قلوب قويات	تصبر على المثلوث والنار حية
يالله يا آمر بخمس الصلاوات	ولا تقبلها إلا على صدق نية
أمرتنا بالحج والصوم رحمات	وانقذتنا من ظلمة الجاهلية
يا رب يلى مسخر الموت آفات	كل حى على الدنيا يذوق المنية
وقدرت عمر الناس وعدات	لا تسبق ميعادها ولا تنتنى به
أنت حسيبى على الأعمال الدنيات	على اللى يعاملنا على سوء نية

سبحانك يا داري بكل الخفيات | يا من علم باسرارك المختفية
اللى جهل بالعون من ضمن الأموات | عايش سجين الجسم والروح حية
لك الحمد يا رزاق خلقك بالقوات | يلى خزانيك دايم ممتلية
يا رب يا فاتح بيوت كريمات | مفتحة لضيوفك المهتمية
يا رب يا غافر ذنوب صعيبات | تغفر لنا ولخواننا كل سية
يا رب تغفر لى من الذنب ما فات | وتغفر ذنوب عبادك المثبلية
سبحانك يلى انزلت كتب وصحيفات | تزجر عبادك عن أفعال الخطية
أرسلت رسلك بالهدى والديانات | يهدو الخلايق للأعمال التقية
يا الله تهيئ لنا أحكام العدالات | لأجل ما تطمن نفس غنية
من هو قصد وجهك على حسن نيات | ياالله تحجيه عن أفعال الدنية
لك الحمد يا مجزى المطيعين جنات | جنات تجرى تحتها عيون ميه
يالله تعرفنا بأهل الشهامات | أهل المروءة والوجوه الندية
يا الله تخذل أهل الكفر والندامات | مخالفين أقوال رب البرية
وتهزم منهم كل جيش بحسرات | وعنوقهم عرقابهم ملتوية
ياالله تعوضنا على كل ما فات | يا معوض البيداء مزن الروية
ويارب لا تكتب علينا شماتات | يا رب يلى قدرتك سرمدية

فهنا نرى مدى إيمان الشاعر ومدى تعمقه وتضمين شعره أحداثاً وتشبيهات وجملاً من القرآن الكريم كقوله :

سبحانك يا خالق جبال عصيات | وارسيتهن عالأرض من كل نية
وجعلتهن للأرض تقل مرسات | خوفاً تميد بنا علي أى نية

وهى مستمدة من قوله تعالى : " وجعلنا الجبال رواسى أن تميد بكم " كما تراه يتحدث عن السبع السماوات وكيفية رفعهم بقدرة الخلاق وكيف بسط الله الأرض وجعلها يابسة مع أن تحتها مياها، ويشكر الشاعر ربه على تلك النعم من الأشجار والثمار المختلف ألوانها وأشكالها ويذكر الشاعر أن بعض هذه الأشجارتستخدم فى الطب الشعبى لعلاج بعض الأمراض ، والبدوى يصلى صلواته الخمس ويحج ويصوم ويؤدى الزكاة .

والتدين وصفات العدل موجودة بالفطرة فى البادية لأن البدوى رجل شهم لا يحب الاعتداء علي أموال الغير ويعتبرها من الصغائر لأنه تربى على الكرم والجود وقرى الضيف وحب الآخرين ونجدة المظلوم وما إلى ذلك من الصفات الحميدة .

ولنأخذ مثالاً أخيراً من شعر القصيد وهى قصيدة رقيقة للشاعر الشيخ " مصلح سالم بن عامر " بعنوان " رسالة " وهى عبارة عن رسالة إلى عزيز عليه بعثها إليه ليشكو له ظلم الفراق ، وكيف أنه يقاسى آلام البعد والجوى حيث أحرقت الهموم جوفه ، ثم نراه يعرج بنا ليذهب مذهب التقى الورع حينما سرد نصائحه ، إلا أنه يعود ويشكو لإبله وهى فى الوديان حيث كان يعيش قصة حب مع ابنة عمه ولكن القدر يشاء أن يصر عمه على عدم زواجه منها فهام فى الصحارى والقفار ينشد الشعر ويقول :

يا راكبين تنتين مثل الأهلة	يرعن زهر نوار عشب الروابى
وتقول رف طيور من بعد علة	دويهن بالجرى جلد السحابى
يلقن عزيز الروح بديرة له	قل له هداك الله تقرأ جوابى
أنا قلبى يعد الحول من غير أهله	وإن قلت هيا للتقاصيد جابى
أوصيك يا لنجاب بالله تقوله	حذرك عداك محضرين الخوابى
أنا قلبى كواه البين من فرق خلله ذواه	عذب فؤادى الحزن من يوم غابى
عنى البعد وأنا أنظر له	دمعى على الوجنات زاد انسكابى
يا ونتى رتب على القلب علة	ونت جريح وغامق بالصوابى
همى بقلبى حرق الجوف كله	اشكى لنا شئ آدم من ترابى
حسبى على كل من له ملة	بطعن قفى المؤمنين اغتيابى
ربك كريم وله رجال أجلة	ومفتحة للمؤمنين البوابى
أول وصاتى فرض ربك تصله	ترى الصلاة تزيح عنك العذابى
وما حرمه الله لا تستحله	ولا تعصى رب صورك من ترابى
وقل أنا المخلوق آمنت بالله	وآمنت بملايكة ربنا والكتابى
وحكم القدر على الدهر صابر إله	بالصبر والتفكير أقضى شبابى
وخلك قوى العزم والضعف خلله	ترى المجد ما يأيتك إلا اغتصابى
وإذا لقيت ديار من غير أدلة	حذرك تلج القول مع كل هابى

واجلس مجاليس الصقور الأجلة وخلى سؤلك قطف زهر الروابى

ولا تماشى اللى شوقته عند ظله دفق قربة المى يوم شاف الرهابى

وأوصيك عن خضر الدمن مستظلة عُشبَّة زهية ترى بها الزهر نابى

ترى نبتها بأوساخ دمنه وجله أوصيك عن هذه بها السم سابى

هذه مرة يعجبك لونه ودله وساسها بمنبت السوء دابى

لا بد ما يأيتك عسر ومذلة ويهزلن منها مغلظات الصلابى

هذاك الحين يظهر العيب كله وأول بوادر العيب كثر العتابى

ومن بعد ذا تشهر عليك المذلة مثل الحجر يوم يهب الكلابى

أما الأصيل يزيد حبة لخله إن قل ماء حيضانها والجوابى

والله والله ثم والله والله ما انسى الرفق لو وسدونى الترابى

لا بد بعد العسر يسراً يحله ويوم الهنا كل الخلايق أصحابى

اللى غدر صاحبه يعلم به الله يلقى الحساب مسطراً فى كتابى

ومع العتب جفون عينه تهله من عظم حزنى ضاع رشدى وصوابى

قلبى انحسر بالجوف من وارى له لولا ضلوعى طار مثل العقابى

إن راد ربك كل خاطر نشله ونعمى بصيرة هافى الحظ هابى

وبقدرة الله كل عسير نحله بهدى الكريم من الخطا للصوابى

وحذرك ترافق سربة مستذلة تبلى بذل ومسكنة وارتيابى

وجيش الأعادى بعزم ربك تفله واطعن صدور العدا لا تهابى

لى صاحب عساه ما يشوف ذلة مثل الأسد يصرك على كل نابى

ياما خلق ربك قلوب أذلة يوم الشدايد ينتمون لأسبابى

واحذر من المظلوم ودعوة له عن دعوة المظلوم زاح الحجابى

ونحن زرع الموت والدايم الله وقفا الشباب ومقدم الراس شابى

ويارب لا تكتب علينا مذلة يا رب يا منزل مطر من سحابى

إن هذا اللون من الشعر غنى بموضوعاته لذا فهو ديوان البادية ومؤرخها وحافظ لأنسابها وأخبارها وتاريخها .

وشعر الحب يمتاز به بدو سيناء لأن أغلبه ينشأ نتيجة لقصة واقعية، وشاعرنا يعشق ابنة عمه وكانت تبادله هذا الحب ، وطلبها من عمه فوعد أن يزوجها له ، لكن عمه نقض العهد واختار أحد الأغنياء لابنته ، وعندها انشطر قلب شاعرنا وبدأ ينشد قائلاً :

الله أكبر نبتدي بالكلام
والحمد لله قد يهون الصعيب

يا رب يلي قاصدك ما يضام
يا منظم الأفلاك بأمر عجيبِ

يا راكب حر ربية تهامة
وقم الرباع ولا بعد شق نبيبيِ

أصله تربى فى مراح النعامة
يقطع ديار البعد حلو النحيب

مثل الفهد يسبق رفيق الحمامة
ميدوب حر وطبع نعم اليديب

تلقى على " أبو سليمان " نعم العمامة
بعيد عن درب الروى ما تجيب

من يم ضيفه ما حديثه يلام
لنك لفيته طلب يأتى بعد طيب

يا نعم بيته تهتدى به علام
بربعته فرش القطيف العجيبِ

واربع دلال من تراكيب شامة
بها رهن ينضح بها كل طيب

يا حلو ذبح مردفات السنامة
من شأن هشال الخلا والقريب

بينى على الحايل غزير السنامة
رعى البيوح ومقفرات الشعيب

يالله يالنجاب رد السلام
كيف العمل ربى عليكم رقيبى

من بعد ذا قل له عليك السلام
وكثر سلامى قبل هرج الغبيبى

فرقت بين اثنين بنى عمامة
تشبه نقيع السم فرقة حبيبى

الفرقة تظهر على الكواكب ايلاماً
يصفر وجه الشمس حين المغيب

عساه يظهر مثل رعى الوهاما
بوقك عهود الله وقطعك نطيبى

باالله أنت بقت عهود رب الأنام
حبى عليك الله نعم الحسيبِ

حسبى عليك الله فى كل عام
ليوم حشر بين أيادى الرقيب

حسبى عليكم كثر قطر الغمامة
وحسبى عليكم كثر ماويه ذيب

يا جابر المظلوم بالانتقام
يا مبدل الأعوام محل بخصيب

يا مبدد الأيام نور بظلام
لدعوتى يا مقتدر تستجيبِ

اللى بلاتى يبتلى بالوهام
ولعله يحتار فيها الطبيبِ

نار القطا شفت لجميع العظام
من دون خلق الله هذا نصيبىِ

ادعى عليك الله بالإنتقام — دعوة شهيد إذ توفى غريب
ظلمتنى ووراك يوم القيامة — من هولها راس الرضيع بتشيب
رحماك ربى من اللى وقدها بالحسام — من حرها صم الحجر يستذيب
من خان عهد من حظه ينام — وعن جنة الفردوس بخته يخيب
لزوم ما حليت عندى ملام — ما يفهم اللحظات غير البيب
من لامنى ما خلت عندى ملامة — ما يفهم اللحظات إلا اللبيب
أشرفت أنا عالى المشراف هيام — اذرف دموع حدوث من قطيبى
تذكرت كل اللى مضى من أيام — ذكر يجدد ما برى من عطيبى
ياما مضى بالعمر ياما وياما — ياما قضينا نزهة تسطيب
ياما سهرنا والخلايق نيام — والله يعلم خافبات الدبيب
العمر ما هو عنبرة يا غلام — لا بد عليك يكثرون النديب
العنبرة فعل تبقى ودام — يذكر على مر الليالى بطيب
العمر يقضى مثل حلم المنام — لا بد يقضى العمر ما فيه ريب
قضيت عمرى بالهوى مستهام — لماثنى غصن الشباب المشيب
صديقى من الأجوادصقر تسام — حمال ذلات الخوى والقريب
واكره انذال فى اطلاق وبلام — وسباع على جيرانهم والطنيب
أن ثوّر المتلوت بين النشامة — يقهر ذليل القوم لع الشطيب
والخيل تنحى الخيل تحت الكتاف — لا ترحمون مبعثرات السبيب
وهانت أرواح الماجدين الكرام — وجدى مع اللى دونهم ينتحى بى
والطير على لحوم القرانيس حاما — ينقل ويترك للوحش به نصيب

(وسلامتكم)

والشعر البدوى يمتد بأصوله إلى الشعر العربى الجاهلى إلا أنه فى بادية سيناء وجدنا الشاعر البدوى يحاول أن يجدد فى شكل القالب الشعرى الذى يعتمد على الشطرين أو المصراعين ، فهنا قسمه إلى ثلاثة أقسام وأضاف إليها قسماً رابعاً " كردة " أى تتردد ويرددها الشاعر بعد كل بيت ، مما تدل على أن كل بيت وحده منفصلة ولكنها مرتبطة بالوحدة الأخرى وبذلك تتكامل الوحدة الفنية فى القصيدة والوحدة العضوية كذلك نجد أن هذه الوحدة تمثل ونظائرها مجموع الوحدات التى تكون الإطار العام - المتماسك - للقصيدة ، فالقصيدة نسيج واحد مترابط ، يقول شاعرنا " مصلح بن عامر " موصياً :

أول قـولنا نسـتـغـفـر الله .. إله العـرش رب الملك كله ..
يغـفـر فى كـلامى كل ذلة نفس ترجـاء مـا يقطع رجـاها

أنا أوصيك إن كان تسمع وصاتى .. تعيش بعز على طول الحياة ..
وتكسب جنة بعـد الممـات لكن كل له نيـتـه اللى نواها

إن صـرت بين الناس قـاضى .. لا تحكم بينهم بالاغـتـراض ..
بكره تلقى رب العـرش قـاضى وين تروح من قـاضى قـضـاها

لا تفـرح على الدينا بمالك .. ترى الدينا قـريب منهـا زوالك ..
ولا تدرى نسـاك على مـغـالك يا مـا سـبـاع زلتـهـا نسـاها

ولا تفـرح على علو الأمـاكن .. فـإن القـبـر أوطى فى المسـاكن ..
ولا تطمع على خلق الله عـدالك مـا يسكن دار غـيـر اللى بناها

ولا تعـصى الاله وكن مطيع .. وراك لحـود مـسكنهـا شنيع ..
وراك الدود لحـمك له وبيع ويبـقى العظم بالى فى فناها

واعطى الله حقـه بالتمـام .. صـلاة وحج مع فـرض الصيـام ..
وشـهـادة مـؤمنين بالإسـلام وزكـاة للفـقـيـر تعطيـه اياها

هذه خـمس هن حق علينا .. اخـبـرنا مـحـمـد المرسل إلينا ..
إن كـان منا على أمـره مـشـينا النفس الطايعـة الجنة جـزاها

وارحم خلق ربك لا تجـبـر .. وأن اسـتـغنيت منهم لا تكبـر ..
وإن وقـعت فى أمـر مـقـدر فلتطلب ربنا يهـون بلاها

واعلم أن قلبك لك دليل .. يدلك على العـدو على الخـيل ..
وأنا أوصـيك على الصـبـر الجـمـيل تراه يعين نفـسك على بلاها

ولا تفـعل ذنوب يثـقلنك .. وأكـثـر من حسناتك ينفـعنك ..
وأن سهـيت وصـار الذنب منك من اتبع سيـئـة حسنة محـاها.

إن أردت الربح لا نشترى الرزايا.. وأن اردت العيش لاتهاب المنايا..
وأن أردت الجنة لا تعـمـل خطايا ترى كل نفس جـزاها وراها

فهذا الشاعر قد عانى بعض الظلم من أقربائه ، ولكن إيمانه بالله جعله يدعو لهم بالهداية وأخذ ينفس عن نفسه فى شكل هذه المناجاة التى فيها يناجى صديقه ويقصد بها أهله وأقاربه .

ونرى هذا الشاعر المجدد" مصلح سالم بن عامر " فى إحدى قصائده شاعراً روحانياً ورعاً يتحدث عن أمور الدين بصفاء قلب ونقاء سريرة يقول :

لا الـــــه إلا الـــــلـــــه ..
رب لا نـعـــبـــد ســـواه ..
لـه الجـــلالـة فـى عـــلاه ..

أمره حرفين كـاف ونون عظيم قـادر مقـتـدر ..
بـأمـــره ســـخـــر القـــدر ..
إن راد خـلـقـــــه شئ أمـــــر..

يقـول للشئ كن فـيكون هو خلقنا من تراب ..
وانـزل عـلـيـنـا كـــتـــاب..
يـنـهـــانـا عـن طـرق الـعـــذاب ..

يا اخـوانى المؤمنين الله الواحـد الأحـد ..
رفـع الـســمـــا بـلا عـــمـــد ..
والأرض عـلـى مـــاء جـــمـــد..

بسطها وقال كونى تكون بالله يا ناشى السحاب ..
يـا خـــالـق آدم مـن تـراب ..
ونـسـلـه من شــيـب وشــبــاب ..

خلقـتـهم لله يعـبـدون خلقت آدم من عـدم ..
وابـنـائـه صـــاروا أمم ..
ومـــصـــيـــرهم يـغـــدو رمم ..

وكلهم لك راجعون يا عالم الغيب الخفي ..
أنت تدوم أنت الحي ..
والكون كله ينتهي ..

يغني كأنه لم يكن يا الله تخذل كافرين ..
وتنصر جيش المسلمين ..
بالانبياء والمرسلين ..

كلهم لك يرتجون يا غافر الذنب الصعيب ..
لدعاء المؤمن تستجيب ..
أنت على عبادك رقيب ..

يا ولي الصابرين ارحم عبادك يا لطيف ..
من ذلك اليوم المخيف ..
ما حيلة العبد الضعيف ..

يوم العباد لك يخشعون يا من رفعت السماء ..
وانزلت من السحاب ماء ..
مالي في غيرك رجاء ..

يا ولي المتقين أوصيك لا فعل الردى ..
ترى الخسيس ماله مدى ..
والطيب دايم سرمدى ..

والكل منها راحلون أصبر على فعل الدهر..
إن كان حلو ولا مر ..
لما يهون لك الأمر..

بالصبر كل أمر يهون واحذر خلايق ربنا ..
الله عليهم حسبنا ..
كلنا مصيرنا للفنا..

كل الخلايق ها لكون لا تظهر عيبات الرقيق ..
كل الجـــيك قـــبل الطريق ..
بعد الســعـة فى القـبـر ضيق ..

وأهل الردى هم نادمـون لا تورد الماء العكر ..
من قـبل مـا تشـوف الصـدر ..
الـواردى ورد البــقــر ..

ما يعرفوا كيف يصدرون إن ابتليت خليك صبور..
لا تشكى حـالك كن مـتـبـور..
لمـا دولاب الـدهـر يـدور..

وتنتهى عنك العيون من غاص غبات البحار ..
يـجـيـب درمن الـقـرار ..
ومن اتبع الـليـل بالـنـهـار ..

صبح المسارى يشكرون سبحان علام الغيوب ..
الله سـتـار الـعـيـوب ..
سـبـحـان فـراج الكروب ..

يذكـروه الذاكـرون الله الله إلى الأزل ..
يـا مـن عـلـيـك المـتـكـل ..
الطف بنا فـيـمـا نزل ..
كـل شـدة بـك تـهـون ..

ولقد رأينا - هنا - الشاعر البدوى يغوص فى روحانية ما بعدها روحانية وصفاء ما بعده صفاء ، وقد رأينا التجديد فى شكل القصيدة وجعلها أربعة مصاريع وهذا تقسيم جديد للقصيدة ، علاوة على استخدامه لمجزوء البحور ذات الايقاع الجميل ومن هنا استحق الشاعر أن يلقب بالمجدد فى القالب الشكلى الشعرى وهذا يحسب له، فمع ذلك لم يخل بالمعنى ولم نشعر بالملل بالرغم من طول البيت الشعرى وهذه هى الجودة ، وهذا هو التمكن .

إن البيئة وهي معجم الشعراء البدويين تمثل ركيزة أساسية وسمة غالبة على موضوعات القصيدة ، فالبدوى متدين بطبعه ويستطيع أن ينتقى صوره من هذه الطبيعة الساحرة .

والشاعر البدوى رجل يشارك فى الأحداث الاجتماعية وفى المعارك السياسية .

فالشعر مرتبط بالمجتمع وبأحداثه السياسية والتاريخية وكيف لا وهو ديوانها وحافظ تاريخها !!

ويشارك الشاعر البدوى فى المعارك بقصائده وسلاحه وهو إذ يشارك انما يعطى كل ما لديه حتى قطرة الماء لا يبخل بها .

ولنا أن ننظر إلى أحدهم وهو يتغزل فى الثورة وفى " جمال عبد الناصر" زعيم الثورة المصرية الخالدة ويكتب عن بطولاته المجيدة ويصف أهوال الظلم التى يعانى منها الناس ، فهم قد عانوا من ظلم الإفرنج " اليهود والانجليز والفرنسيين وظلم الحكام .

وهو إذ يشارك فى هذه الأحداث انما ليؤكد وطنيته التى لا يمكن أن يشاركه فيها إلا القليل .

إن أحداث العالم المحيط بالبيئة البدوية ليست بقليلة وانما إذ شارك فيها البدوى إنما ليؤكد على مدى عمق وطنيته ووعيه بقضايا أمته .

وهذا الشاعر يصف لنا صفات اليهود ونقضهم للعهود والمواثيق وكما يقول الشاعر العربى :

إن اليـــهـــود هم اليـــهـــود ليـــســـوا لهم أبداً عـــهـــود

وفى هذا قال الشاعر البدوى هذه القصيدة :

مـضت علينا أعـوام وسنين وسنين لعـبـو بنا الافـرنج على هواهـم
والواسطة منا ملوك وســلاطين منهـم تعـذبنا وذقنا بلاهم
فى عام ألف وتسعمية وخمسين واثنين ثاروا رجال الشعب والله هداهم
" جمال " وصحبته وفى وراهم ملايين فكو قيود شعوبهم من عداهـم
جـمـال جـاب الحق من ها الملاعين الرغم عن أنوفـهم مع لحـاهـم
أمم قنال الشـعب رغم العـدوين وإن ما عجبهم مستعد للقاهـم

واللى حصل فى عام ستة وخمسين	توافقوا على غدرنا من هواهم
طبع اليهود الغدر حين بعد حين	نكثوا عهودا الأنبياء من عماهم
" بريطانيا " وفرنسا الملاعيين	لما اعتدوا على مصر مالن هداهم
ومعهم "بن جوريون "ها الكافر الشين	جيشه عدو الدين واحنا عداهم
غاروا علينا ناس ما عندهم دين	بارودهم تتلا معن تبين ابداهم
جمال لحق جيشهم سكة الدين	ولخبط عليهم أرضهم مع سماهم
والله ما يدوموا حكومة " بفلسطين "	وجيوش العروبة حايطة من وراهم
شباب العرب عزهم نصرة الدين	أهل السعد من يوم ربى نشاهم
لو سلحونا كان حنا حظيظين	يوم النهار الشين ننزع معاهم
لكننا شعوب وللحكومة مطيعين	ووين ما صلوا نصلى وراهم

(وسلامتكم)

وأحسب أن انفعال الشاعر بقضايا الوطن يدفع عن السيناويين شبهات الولاء للمحتل اليهودى التى طالما ترددت فى الأفواه ، ولاكتها الألسن ، بغير حق .

وبعد ، فإن النماذج التى سقناها من القصيد البدوى فى سيناء لم نرد منها التأريخ للقصيد فى سيناء ، وإنما أردنا فحسب التعريف بها عن طريق المثل والنموذج .

وقد تنوعت النماذج التى أوردناها ، فكان منها الغزلى ، وكان منها الوعظى ، وكان منها السياسى ، وكان منها المفعم بوجدان دينى فياض .

وقد أردنا بهذا التنوع أن ندلل على حقيقة كبرى أشرنا إليها من قبل ، تلك أن الشاعر البدوى السيناوى يرتبط شعره بحياته كل الارتباط ، ولا يكتب الشعر لحاجات جمالية مبتوتة الصلة بحياته ، ومشاعره ، ومناسبات القول ، ودوافع الإلهام .

ولا ترد تلك الحقيقة أحداً عن ذلك الشعر ، ويجب ألا ترد أحداً عنه ، مهما يكن حرصنا على الشعر الذى لا يستجيب استجابة واضحة ، أو مباشرة ، لبواعث الحياة فالشعر حين يكون ممارسة بسيطة من ممارسات الحياة يظل جميلاً ، يستمد جماله من فعاليته وتعبيره عن مشاعر الحياة البدوية ، وأخلاقها ، وأنماط المعيشة فيها .

وهذا ما نأمل أن تكون النماذج السابقة قد أوضحته .

ثانيا : المــــواليا

المواليا عبارة عن قصائد تغنى على ظهور الإبل ، وهى فى الصياغة تختلف عن القصيد ، إذ أن القصيد - كما أسلفنا هو ديوان البادية والقسم الأكبر من شعرها ، إلا أن المواليا تتميز بجزالة اللفظة اللغوية علاوة على خفوت الموسيقا قليلا إلا أن نبرها مرتفع وصاخب وأبيات المواليا قصيرة - غالباً - وتحتوى على حكمة معينة ، أو عبارة مأثورة من الأمثال البدوية أو تصف موقفاً محدداً ومن أمثلتها قول شاعرهم :

يا كم بنيــــــة نوية	قــــــيلت أنا وياها
والجـــــذلة عــــشب ثريا	قـــبل العـــرب ترعـــاها

ونرى هنا الإيجاز فى القول حيث يتحدث عن كثرة الأحباب الذين يرعون الأغنام ويجلسون تحت الشجر ليستريحوا فوق الأعشاب والمراعى الخضراء ، يتحدث عن الناقة وهى تمرح بين المروج الصفراء ترعى وحولها الحادى يغنى لها المواويل الشجية ، وقد وجدنا المواليا فى الشعر العربى فى الأندلس فهى ليست غريبة علينا ، ونرى شاعراً آخر يجمع بين حلاوة الوصف وجماله والحكمة وسلاستها يقول :

بنيــــة عند الدغنجـــــة	ونهـــوده يا حب المنجـــــة
وبنيــــــــة عند الدهينى	يا نهـــوده يا حب التـــينى
ويا عنب رمـــــانى ســـينا	لو ســــــحت اقطف زهورك
يا ذهب غـــــــالى علينا	مين يجـــيــبك من بحـــورك
وليلة فى البــــر تســــوى	فى البلد عـــشــرين ليلة
يا حـــــمام الصـــيـــد بلى	مــــا ترميك البندقـــيـــة
ليك ليــــالى مــــا تجـــينا	تـــزورنـــا ولا نـــزورك

والمواليا قد تقترب - فى استحياء - من " فن الواو " أو الرباعيات فى كون كل أربع أبيات من وزن واحد وقافية متناغمة

ونرى المواليا الجميلة فى قول شاعر البادية القديم :

أنت وليـــــد البـــــــدوية	وأنا وليـــــد الفـــــلاحـــــة
أنت تهـــفك الشـــرقـــيـــة	وأنا على فـــرشـــة وطراحـــة
بكرة تيــــــجى فى بلدنا	وأحطك فى بيت الراحـــــة

وهنا نرى المفارقة البسيطة للدلالة على أصل النسب فالبدوى يعيش فى الصحراء ويسمى بدوياً " قح " أى أصيل ، أما الذى يعيش فى المدينة أو الذى ضمته القبيلة إليها فيسمى " فلح " فهو هنا يقول : إن الريح الشرقية لا يتحملها " الفلح " لأنه لم يعتد عليها بينما البدوى ينام فى الهواء الطلق ليتنسم الهواء العليل .

ونلاحظ أن الأوزان الشعرية المستخدمة فى المواليا من الأوزان الخفيفة على اللسان وأغلبها من مجزوء الرمل والرجز ومجزوء الكامل والبحر البسيط . إذن البدوى يعلم العروض بفطرته وسليقته وهو متذوق جيد للشعر يعلم جيده من رديئه ، ويفرق بين المطبوع والمصنوع، وبين الصورة الحية الشاعرة والصورة المصطنعة ، أليس الشاعر من البداية العالم بأحوالها ودقائقها ؟ ثم أليست البادية هى التى تفرز هذا الشعر، إن هذا العلاقة المتبادلة بين الفرد وبيئته جعلته ينتج أدبا قوياً متناغماً ليس فيه تكلف أو اصطناع ، كما أن المواليا لها أساس فى الشعر العربى إذ ظهرت مع اتصال العرب بالشعراء الآخرين نتيجة لفتح بلاد الأندلس وظهور الشعراء المولدين ، فإذا ظهرت المواليا فى البادية وأدبها إنما تظهر كنتيجة حتمية لهذا التراث الطويل الضارب فى القدم، وفى العصر العباسى أزهى عصور الأدب العربى، ووجودها فى الشعر البدوى إنما لتؤكد أن البدوى متصل بثقافات الأجيال وليس معزولا عن بقية العالم من هنا كان استشراف البدوى لنموذج المواليا إنما استشرافاً للشعر العربى وتطويراً وامتداداً لهذا التراث الجميل .

ثالثا : حــدا ء الإبــــل

حادى العيس (الإبل) حفلت به سيناء لأنه له قدرة على قيادة الجمال عن طريق الغناء ، فالحادى يغنى للإبل وهى تشرب أو تسير فى الصحراء أو ترعى فى المراعى الخضراء والإبل تستعذب الغناء حال شربها كما تحب السير على صوت الحداء ، والحادى يغنى لها فتسير فى هدوء ، طروبة للغناء . وحداء الإبل أغان يغنيها بعض البداعين أو المنشدين لأنها تغنى من فوق ظهر الهجين ، أو فى مواسم خاصة كسباق الهجن ومواسم جنى ثمار الخوخ والزيتون وغيرها ومما حكى [1] عن تأثير الحداء على الإبل أن أميراً مر بشيخ من الأعراب فرأى عبداً مقيداً بالحديد فقال الأمير : ما الذى جناه هذا العبد حتى استحق هذا الجزاء ؟! فقال الشيخ : اتبعنى ثم أخذه إلى مراح الإبل فرأى الإبل منهوكه لا تستطيع حراكاً ، فقال للعبد : غن لها ، فغنى العبد ، فنهضت الإبل لساعتها متحمسة كأن لم يكن بها بشئ !! ثم أكمل الشيخ قائلاً : هذا العبد أتى بها من مكان بعيد وهى تحمل أثقالاً وأخذ يغنى لها حتى رأيناها قد ضاعفت سيرها فصارت إلى هذه الحال !!

فكما أن أن بعض الثعابين مولعة بصوت المزمار ، وبعض الخيول مولعة بالموسيقا نرى الإبل مولعة بالحداء .. وشريعة الإبل صارمة جدا ، وتترك الإبل فى الصحراء ولا يجرؤ أحد على أن يمسها ، ولكل قبيلة شارة خاصة تسم بها إبلها ، أى تكوى بالنار كعلامة فى الوجه أو فى العنق أو " الورك " والجمل سفينة الصحراء فهو الذى يتحمل مشاق الحل والترحال فيخترق الفيافى والسهول ولكن العرب فرقوا بين الإبل الخوارة (العكد- الحمر) وهى التى تستخدم فى حمل الأثقـــال وأغراض الزراعــــة وجلب المياه وبين تلكم الإبـــل (الظروبة - الهجن - الصافية) وهى التى تستخدم فى الركوب والسباق والأفراح ، ويفتخر البدوى بما يمتلكه من الإبل، لكن فخره يزداد عندما يكون لديه جمل صافى(جيد) يستطيع أن يتحدى به جمال القبائل الأخرى فى السبـــاق (الصابية) وللإبل"دســـــن " (نسب) تعرف بها فينسب الجمل إلى أمه الناقة ، حيث تصفى الناقة بطريقة التهجين مع ذكر ظروبة (صافى) ليبدأ عددها فى الجودة وبالترتيب حتى يصل إلى الخامس وعندها يصبح الجمل الذى وصل الجيل الخامس كامل العدد بمعنى أنه خيار من خيار ، ومن الأنساب الشهيرة للإبل فى شبه جزيرتنا " الزريقان " و " الوضيحان " و " ضبعـــان " و " غزيلان " و " دهمان " و " اشعيلان " و " عويجـــان " و " سوغـــان " و " اخضيـــران "و

(١) سيناء أرض القمر ، اللواء طلعت الجوهرى، الدار القومية للطباعة والنشر ١٩٦٥.

" اعسيفان " و " اغويبان " و " اجحيشان " و " اصفيران " و" اجويحان " و " ابيجان " و " بلهان " و" اروِيمان " و " زرزور " و" موج "[1]

ومن أمثلة حداء الإبل قول شاعر البادية " مسلم أبو النقيز " وهو يصف الإبل وينشد لحادى العيس ويصفه بصفات الشجاعة وهو يهمز الإبل بكعوب قدميه فتجرى مسرعة لتشق البطائح وتمر على الغدران يقول :

يا راكب اللى نهب الجـــرى نهى	مـرياه مـا بين السـهل والجـبـال
يجعل بهـمزات الكعب دون الخزامى	ومـــروته تقطع مكين الحـــبـــال
يورد غـــدير ويصـــدر براس نقــبى	مــا عـقله بالحـبل وبش الرجـــال
مــــرياه مـــا بين الملاطيم خـــصــبى	من ساس بيت الجود جريه جـفـال
أبوه وأمـــــه صـــــافــــيـــــات بنتى	صلبه مـضـمـر شامخ المتن عـــال
ادرك شـــداده واكــرب الخــدم كـربى	شـد الحـبل واكـرب عليـه الحـبـال

وهذا شاعر آخر يصف الإبل - أحد سلاطين الصحراء الأربع إلى جانب الإنسان والرمال والنخيل ، وهو يعكس المكانة الحقيقية لهذا الحيوان " الجمل " الصبور الذى يتحمل ويتعلم من كل شئ حتى صار المثل الشعبى السيناوى القائل " الإبل لعلمتها صلت " حقيقة وهو دليل على أن الإبل تتعلم يقول الشاعر [2] :

يا راكب من فـــوق طلق النراعين	صـــاف طـيـور الجـو مـا يلحـقنـــه
يسبق هبوب الريح والبرق والغين	فى الصـــابيـــة تتـــراوغ الزمل عنه
يسبق طيور الجو صافات الجناحين	فى الضـاحـيـة تلقـاه برشح مـصنه
لا شــردة راعـــيـــة بين الفـــريقين	يسـبق وبنات الريح مـا يسـبـقنـه
قم يا ظلام واكرب عليه الفشاطين	من زمل الحـويطات مـا فـيـه ظنـه
اكـــــرب شـــداده بين ســـيـــرين	طايب مـشـمـرخ نفلق الصـخـر سنه
اكـرب عليــه ويمـه شرق يا زين	والبـعـيـد قـريب عند كـرب الرسنة

---

(١) جريدة سيناء الإقليمية ، عيد أبو مرزوقة ، يناير ١٩٩١م

(٢)جريدة سيناء الإقليمية ، سليمان عياط ، أدب البادية، سبتمبر ١٩٩٤ .

ويصف الشاعر هنا الإبل بالسرعة والقوة فى الجرى وفى السباق علاوة على جمالها ، وحادي العيس رجل محبوب من الجميع لأنه يستطيع بغناء عذب بسيط أن ينشط الجمال ويجعلها تجرى بسرعة وتنجز الأعمال فى مهارة فائقة إنها حياة الصحراء الجميلة والجمل سفينة الصحراء ، والإبل تسير فى شبه جزيرتنا هادئة ويفتخر البدوى بما يمتلكه من هذه الابل ، لكن فخره يزيد عندما يكون لديه جمل صافى أو جيد يستطيع أن يتحدى به جمال القبائل الأخرى فى السباق (الصابية) وهذا شاعرنا "مصلح سالم بن عامر" ينتقى لنفسه عشراً من النوق الأصيلة ذات النسب العريق ويتحدث قائلاً :

فاض الغرام يوم شفت بمنامى — والدمع عام والشظا فى عظامى
من عقب ذا شديت عشرة سراجيب — اللى أن مشين زعانهن كالدواليب
اسرع من اللى يقطع الدو تهذيب — وغير طوله مثل رف الحمامى
الأولى من خاص ركب الأحاوى — شدا دهن ما كلفه كل غادى
تامن عليها بكرة عظيمة — تبين أنت جود حبلها والزمام
والثانية حذيتها من التياها — يا ذكرة الله يوم غاروا ثواها
اسرع من الدولاب نقلت خطاها — من يوم خلقت مادنت للسوام
الثالثة شقحا من الهجن حرة — تسبق رفاريق العطا من معزم
ركابها ما باعها بميت حرة — ولو ملولة خرجها للعصام
والرابعة شقحا بوضاح سمينة — عوصاً على قطع الفيافى مشينة
لو قامت غدو من أرض المدينة — تلفى دمشق الشام قبل الظلام
والخامسة من نجد جث مستحيلة — من هجن ولد سعود حرة أصيلة
ما وقفت للسوم بالعمر شيلة — ترعى عفا روس النقل والخزام
والسادسة ستة على كل سيده — عبد الأمارة ما جذبها لسيدة
مر باعها بين حيطا والسويدة — ومقياضها ما بين سالا ورامى
والسابعة سبحان ربى خلقها — تمشى جنوب ولا توالف وفقهى
شيهانى وأعلى منهى سبقهى — تعجلك رد المسا والسلام
والثامنة جتنا عطا من الشعالبين — تسبق هبوب الريح فى نشارين
ما جود وهى بالرس أو بالمحاجين — ما وجود وهى غير شد الخزامى

والتاسعة ما رموها جوه الزرابى
ولا حفحفوها باردين الخوابى

ترعى زهر نوار خاص العشابى
لما قضت مربا عهى بالتمام

والعاشرة على اللى غواها وشراها
واللى شراها وحسب لى غواها

وحب البرسيم لا يق فى سواها
أما المبارك مثل وسد المنامى

كملن ركابينا عشر بالحساب
واللى عليهن ما عليهم حساب

قوموا اعتلوهن يا وجوه الذياب
ودو على حور ان وصل كلامى

قولوا يا هل الركاب الزعاريب
من فوق عجلات الخطا للمطاليب

أو دعتكو الله والخضر وشعيب
من شر أولاد الزنا والحرام

بعشرة " هنديات " من دقة الشرق
تلمع وتخطف كما لمحة البرق

سيوف " هنديات " شفراتهن زرق
تحزموا بهن النشاما خزامى

وعشرة فرود من الكيخشان جنى
يوم الفشك ببطونهن يلهجنى

قوموا اركبوا شدوا صراصيع جنى
عفيا العيال اللى بشفون المرام

فهو هنا يصف كل ناقة على حدة بأوصاف القوة والخفة والسرعة والرشاقة وقد اختار لهذه النوق عشرة فتيان شداد ليمتطوها ، وأعطى كل واحد منهم سيفاً هندياً أصيلاً وفرداً (مسدساً) وذخيرته اللازمة وجعلهم حراس القبيلة للزود عن مرابع هذه القبيلة من أى معتد أو غاصب .

ونرى جمال الوصف ودقته إلى حد يشبه التغزل بهذه النوق العصافير القوية مع أنها صفراء اللون إلا أنها تشبه الطيور القوية التى تطير من شدة السرعة، لقد أفلح البدوى فى تصويره وفى وصفه حتى غدا شاعرنا من الشعراء المقدمين البارزين ببادية سيناء .

و " حادى العيس " حفلت به العرب لأنه البطل وهو المدافع عن مرابع القبيلة ..

وقد رأينا " حادى العيس " يسير فى البيداء فى هدوء ويجلس تحت شجرة لتظله من القيظ ، ويخرج من مزماره المصنوع من البوص أو شبابته . ويعزف للجمال فتهتز الجمال وتنهض من مركضها كأن سحراً أصابها .

سبحان الله تعالى الذى جعل الجمال تسير على أنغام المزمار وعلى غناء هذا الحادى.

إن هذا العمل ليس بالسهل لما يتصوره البعض لأن هذه الجمال لا تطرب - فعلاً - إلا للصوت الجميل فليس أى أحد يجعل الجمال تنجز الأعمال بسرعة وإنما هو فحسب الرجل له صوت رخيم جميل عذب .

وسننظر بعد ذلك إلى نموذج آخر لنرى مدى أهمية حداء الإبل فى البادية ، ومدى جمال وقوة القصيدة فالشاعر البدوى يصف حادى العيس الذى يركب الجمل الجميل القوى ويسير به فيجعله يطير كأن سحراً أصابه ..

وهذا الشاعر يعرض لنا قوة وسرعة الجمل بتشبيهات جميلة، يقول شاعرنا :

يا راكب من فـــوق حُرٍّ ســـريع	أقشط عليه شداد سيره رفيـع
ودو يرع من فـوق مـتنة بديع	وخـرج تزهيبـه الغـرض والبطان
شـده من العـجـمـة بلاد فـريع	ومـــسكنه مـدراج بروسيـع
تلقى مـداهيج الظعـون النجيـع	مع وادى عـدل طويل المحـانـى
يوردك على عـوجه البوسن سليم	ترقب عليـه الطرش زيلات وجـهم
أبو نخـيلة يعـجل النشل بالجم	سـرعـان مـا تصـدر زويد ريـان
كلهـا بلاد ربوعنا والقـرابة	هم بردوها يـوم كـز الحـرابـة
ما تحدنا غبـر كـان روس النقـابة	من الراكـز لما تعـدى الحـصـانى
احـرد على اللى سـادته ذا الرهابة	تقطع فـجوج التيه مـثل السرابة
تقطع على عـربانهـا والرفـاقـة	وعند العـرب تقـدر تهـجع ثوانى
ديار قـفـرة مـا بهـا من غـواش	ميـرادها على عـد ما هو مشـاش
الله يسـيـقـهـا بالمطر والرشـاش	إذا ربعـــت زجنينة الرهجـانى
كـــزه مع المدراج عـــجل بهـــام	ترقب جـبـيل خـرم دونه كـتـام
من أيمنه مـــدهاج وربك عـــلام	على المطله ترقـــب الدويـــان
تحدر بدوس الفهد مع ديرة الشمس	أشقر محرق بالدرر خمس فى خمس
صاحى يتلفت لاسمع طقة الدمس	عـصـار ريـــح مـخلطاته جـوانى
يقطع فـريه والشـريف يتـقـزلاه	فـــات الجراد وراكبـه ما ثماراه
بالمنبطح ترقب عـوادى مـبناه	مـابينهن فـــازه وسـبع الركـان

تلقى على بنى عامر ما هو ذليل	شيـــخ البدواة بالمجـــالس ثقيـل
مـقرى الهـفـايا بالسنين المحيل	عليـه أبو سليـمـان مـــلوا لثمـان
نعـمين أبو سليـمـان لنك لفيتـه	يا مـــكرم الطراش بشق بيـتـــه
ربه مـريد برقع ذكـره وصـيتـه	يا مـا ذبـــح للضيف خيل سمـان
تلقى الدلال مـبـهـرات حـديد	بحـرف نـــار زايـــدة بالوقـيـد
وصوانى فـضـة يقدموهن عبيد	للضـيف واللى حـــاضـر بالمكـان
هو شيـخنا مبنى علينا ذرى وظل	ما عمـر أبو سليمان يسكت على الذل
مـسـقى عـدؤه سم مـر الحـمـاضل	بخـشـوم شلفـــه مع زروف اللمـانى
عـمره كلامـه بالشرف ما يبوقـه	جلوســه الديبـاج والجـوخ فـوقــه
سيـفـه مـصـيغ بالذهب حلو ذوقـه	هدية من السلطـان غـــالى الثـمـان
شيخ قرارى كل شهـر له وصيـة	بنيـشـــان مصر من الملك جاهديـة
مـــعلقـــة بالصــدر زايد ظويه	هدية من مـــجلس البـــرلـــان
ربعـه ثيـاها تقـول عـسكر سوادى	جـيـــابة للفـيـدشـيـه الظـــوارى
يا مـجـفلين البوش حين الفـجارى	حـــسـن المويلى مـع رزيز اللـمـان

فهـو هنا يصف الجمل بأنه " حر وسريع " والحر هو المنطلق دون قـيد ، غيـر أن حادى العيس وضع عليه شدته " متاعه وفرشته التى يستوى عليها " وهو يقطع الفجاج فى التيه كأنه الفهد وهو أشقر يميل إلى اللون المحروق فإذا انعكست عليه أشعة الشمس فإنها تنعكس وكأنه يبرق فى جريه فعندما تراه فانه كشعاع يمر أو كوكب يسير بسرعة خاطفة .

ولا شك فى أن هذا التصوير للجمل لا يصدر إلا عن نفس شاعرة امتلأت حباً للحيوان الذى يسمونه سفنيه الصحراء ، وامتلأت إعجاباً بجماله ، وبقوته ، وبصبره ، وبحلمه ، وبشموخه الذى يبدو فى عين الشاعر البدوى علامة نبل ، عبر البدوى عن إحساسه حين جعل للجمال أنساباً مثل الأنساب التى يزهو بها أشراف القوم وسادتهم .

رابعاً : غـــناء الرقـــص

وغناء الرقص - كما أسلفنا - ثلاثة أنواع :

١- الدحية .

٢- المشرقية .

٣- السامر .. وهو نوعان :

أ- الخوجار .

ب - الرزعة

وغناء الرقص يرتجل ارتجالاً ويسمى المنشد " بالبديع "

١- الدحية :

هى أعظم تسلية عند العرب فى لياليهم وأفراحهم ، وفيها يقف المغنون فى صف واحد طويل ويكون وسطهم شاعر أو أكثر ، وهو يرتجل الشعر ارتجالاً ، وأمام هذا الصف تقف غادة جميلة تسمى الحاشية وترقص ويبدأ المغنون الغناء ويقول المغنى " الدحية .. الدحية .. الدحية .. الدحية " ونراهم يصفقون بأيديهم ويهزون رءوسهم وكلما قال البداع شطراً من الشعر كرر الكل " " أى الرد ويردون بقولهم : " رويحانى قـول الريداة " أو " رايحين نقول الريداة " أو قولهم : " حانى قول الريداة " ومعناها " يريحنى القول الطيب " أو " يريحنا قول أريدك " ويكررونها ويتقدمون نحو الحاشية " الراقصة " فى حلقة كبيرة ، والحاشية تتقهقر أمامهم وهى ترقص حتى يصلوا إلى منتهى ساحة اللعب " السامر " وعندها يقعدون القرفصاء وعلى " ركبهم " فتقعد الحاشية مثلهم ويغنون برهة ثم يتقهقر الرجال إلى الوراء - وهم على ركبهم - والحاشية تتبعهم وهى مواجهة لهم ، ثم يقفون ويعودون إلى حيث وقفوا ، ويكررون قول : " رويحانى قول الريداة " إلى نهاية الرقص وذلك عندما يتعبون وقد يكون بينهم أكثر من بداع فيتناوبون القول إلى انتهاء اللعب وقد ينضم للحاشية راقصة أخرى أو راقصتان فيمسكن أيديهن بأيدى بعضهن ، فإذا رقصت اثنتان حملت السيف الواقفة عن اليمين ، وإذا رقصن الثلاثة حملته الواقفة فى الوسط ويبدأ البداع منشداً :

أنا مــجــبــرك يا الغــالى مــــــــد ايـدك سـلـم عـلـى

(فمدت يدها وسلمت عليه فقال) :

أنا مــجــبــرك يا الغــالى تلعب بأركـــان الدحـــبــة

(فتحمست فى الرقص فقال) :

وأن كنت مطيع من زمـــان رد الركـــبـــة مــثـنـيـة

(فركعت على ركبة ونصف فقال) :

هـيـــدى بروك المخـــاليف ودى بـــروك المــطـــيـــة

(فركعت على الركبتين فقال) :

أنا قــصــدتك يا الحــاشى ودى أشـــوف العـطـيـــة

(فناولته السيف فقال) :

الحــاشــبــة أعطانى السـيف والســـيــف يـقـطـع يــدى
أنـا ودى شـنـاف الـفـــضـــة شـــرع قـــبـل الـكـلـيـة

(فنزعت شنافها من أنفها وناولته إياه فقال) :

أنا ودى خـــاتم الفـــضـــة وحطه بايدى اليـمـــيـنـيـة

(فنزعت خاتمها وناولته إياه فأرجعه لها ومعه قطعة الفضة وقال):

هذه عـطـيـــتك يا الحــاشى وهــى حــــرام عـــــلـىّ
واخـتـم كــلامى " بمحـــمـــد " يا مـــصـلين عــلـى " النبى "
" مــحـــمـــد " يا نور الشـــروق و" الســـيـــد " نور الـغـــربـيـة

ومن الملاحظ أن البدوى يستخدم " المونولوج الداخلى " بحذق ومهارة ، ونرى استخدامه " للدراما " الجيدة والمتناثرة هنا وهناك انما لتدلل على أصالة هذه الأغنيات ورصانتها وعمقها .

وأغلب أغانى الدحية من بحر " المتدارك " ، كما أن الدحية دائماً تختتم بالصلاة على النبى الكريم ، ودائماً يكون البداع هو البادئى فى الإنشاد لأنه يرتجل ارتجالاً وليس معداً ومن هنا كانت المهارة ولكن الارتجال لا يمنع من أن يكون لأغانى الدحية شكلاً شعرياً ، أو قالباً فنياً يصوغ البداعون الأغنية الحوارية الراقصة على نمطه. وهذا الشكل ، أو القالب ، هو ما حاولنا عرضه .

٢- المشرقية :

والمشرقية فيها يقف الرجال فريقين فى صف منحن على شكل هلال مقطوع الوسط ويقف مع كل فريق بداع وأمامه امرأة ترقص بالسيف أو بغير سيف

وتسمى " الحاشية " - أيضاً - فيبدأ بداع الفرقة الأولى فيبدع بيتاً طويلاً أطول من أبيات " الرزعة " - كما سيأتى - وكلما قال شطراً كرره أصحابه ويسمى ذلك " ردة " أى ترديد للشطر ، وكلا الفريقين يصفقون ويهزون رءوسهم ويتقدمون نحو الحاشية فتصبح في الوسط بين الفريقين على خلاف الدحية فهى هنا حاشية واحدة فقط ، ثم يبدأ الفريق الآخر فيبدع بداعهم بيتاً من .. الشعر ، ويكرره أصحابه بعده وهم يصفقون على نحو ما فعل الفريق الأول وهكذا إلى منتهى اللعب ومن أمثلتها قول شاعرهم :

اطلع تنزه ليالى العز ما دامت

(فيكررون الشطر والحاشية ترقص فيكمل) :

يا أكحل العين ما أحلى دقة وشامك

فيكررونها والحاشية ترقص فى تحمس ويتقدم الفريقان نحو الحاشية فتكون فى الوسط بينهما ثم يبدأ بداع الفريق الثانى فى إلقاء قوله وهكذا حتى تنتهى الرقصة .

وأغلب هذه الرقصات اندثرت فلم تعد إلا الدحية هى الغالبة ولم نعثر على كثير من الأمثلة لهذا النوع من الرقص لقلته واندثار حفاظ الشعر من هذا النوع . ولا أحب أن أصطنع نموذجاً للمشرقية بل سأكتفى بأن أعرف بالمشرقية ولتكمل دراسة أخرى فى مستقبل الأيام هذه الأمور . إننا إذ نقدم هذا العمل فإننا نؤكد على روعة التراث وجماله وعظمته وخلوده .

٣- السامر :

والسامر نوعان :

أ- الخوجار ب- الرزعة

أ- الخوجار :

والخوجار تبدع فيه النساء ، فتقف النساء بين صفى الرجال وفيهن شاعرتان ، كل منهما تغنى لفريق من الرجال ولا يتحركن وينشدون ، ومن مقاطيع الخوجار قول شاعرهم:

يا طالعين البـــرارى فى ســـمـــوم ورياح
لا القلب ســاكن هنا ولا شــوقكم مــرتاح
يا قلب وايش متعبك يا قلب وايش شاقيك
يا قلب اللى سـقى عـود القنا يسـقـيك

وهنا نجد أن الشاعرة الأولى قالت البيت الأول لإحدى الصفين من الرجال فردت عليها الأخرى ببيت آخر " البيت الثانى " وردت الثانية على الأولى ووجهها لفريق الرجال - الفريق الأول - وتقول :

يا ســاكنين الصــحــارى وبلادكم مظمــاه
قـــاعــد على دربكم والحلو مــا بلقـــاه

ويصفق الرجال لكلا الفريقين فترد الشاعرة الثانية :

يا أهل المحناه يا أهل الناقـــة الزرقــــا
مــا يجــرح القلب غــيــر الموت والفــرقــة

وهكذا حتى نهاية الرقصة .

والملاحظ أن بسيناء شاعرات رقيقات يرتجلن الشعر ارتجالاً وهذا دليل القوة والحصافة اللغوية ، ويلاحظ فى أبيات الخوجار أنها تعتمد فى موسيقاها على " التصريع " فالقافية فى صدر البيت كالقافية فى عجزه ، كما أن حرف الروى فى المصراعين واحد وهذا دليل التمكن لدى شاعرات سيناء .

ب - الرزعة :

والرزعة من الرقصات الطريفة وهى مثل المشرقية بكل تفاصيلها - كما أسلفنا - إلا أن الشعراء ينشدون أبياتاً أقصر من أبيات المشرقية وهذا القصر دليل الفرق بين الرقصتين،لكن فى الرزعة نجد الموسيقا أعلى ومن مقاطيع الرزعة قول شاعرهم :

الصبر طيب ومفتاح الفرج منه
نبعد ونقرب حد الله ما عنه

ويردد الفريق الأول قول شاعرهم فى الصدر والعجز فتتحمس " الحاشية " وتزيد من الرقص وهز الأعطاف والرأس فيصفق لها الفريق ويتعدلى التصفيق ويبدأ بعد ذلك الفريق الثانى فى التصفيق للحاشية فتدير الرقص ناحيتهم ويتعالى التصفيق فتزيد من هز الأعطاف والرأس يمنة ويساراً ويبدأ الشاعر فى إنشاد الشعر وتردده المجموعة ثم تتوالى الأدوار بين الفريقين حتى ينتهى الرقص .

وحقيقة فإن الأغانى التى كانت تغنى قد اندثرت وهذا الموت لحفاظ الشعر ، علاوة على أن هذا الشعر مرتجل جعل مسألة الحفاظ على هذا التراث أمر عسير علاوة على أن هذه الرقصات قديمة جداً ولم تعد متداولة - إلا فى القليل - كل هذا جعل إمكانية البحث عن أنموذج حى متوراث من الأشياء الصعبة جداً على الباحثين .

كما أن هجرة البدو من البادية للمدينة ودخول التمدين إلى البادية جعل هذه الرحلة شاقة جداً .

الفصل الرابع

الشعر القصصى
والقصة الشعرية



حظى الشعر البدوى بنماذج كثيرة للشعر القصصى ، ولا نبالغ إذا قلنا إن معظم الشعر البدوى مرتبط بقصة معينة ، وغالباً ما تنتهى بحكمة أو بقيمة فاضلة .

وتتجلى الدراما وتظهر بين الأبيات بصورة عالية ، وقد بقى الشعر القصصى محفوظاً فى الصدور ومعروفاً لدى الجميع ، لأن النفس - بطبيعتها - دائماً تحفل بالحكاية أو " الحدوته " وتتوارثها الأجيال ، ويحكيها الآباء للأبناء وتتناقل بالمشافهة والقص وأسلوب الحكايات الشعبية الجميلة .

وقد اندمجت القصة الشعرية فأصبحت نسيجاً لا ينفصل عن مضمون الشعر لأنها فى الأصل شعر ولا نستطيع أن نفصلهما لإرتباطهما بخط درامى وحدث مشترك وفى أغلب الأحيان قد لا نفهم هذا الشعر دون أن نشرح مناسبته أو القصة التى من أجلها قيل ، وليس معنى ذلك أن الشعرالقصصى شعر مناسبات يؤلف خصيصاً لهذا الغرض ، بل هو نموذج مطبوع وإن أملته الأحداث فإن الراوى أو الشاعر يرتجل هذا الشعر ارتجالاً دون الإعداد مسبقاً لهذه القصيدة ومن هنا يخرج الشعر القصصى عن إطار شعر المناسبات لذا كان الشعر القصصى أنموذجاً فريداً يحكى البطولات والمواقف الإجتماعية المختلفة ويعكس مدى الثقافة للبدوى فى مواجهة مشكلة معينة .

ولذا كان الشعر القصصى هو المؤرخ والرواى المحبب إلى النفوس ليحكى التاريخ طرائفه وحقيقته دون زيف أو تجميل وإن خرج عن الآداب العامة فى القليل إلا أنه يخرج على سبيل المزاح وليس على سبيل الإهمال للقيم الخلقية التى يتخلق بها أصحاب هذا الشعر .

فالبدو يجتمعون بالليل يتسامرون على ضوء القمر أو ضوء الشمس المنعكس على القمر حول النار المشتعلة وأكواب القهوة والشاى الساخن ، ثم يبدأ كل منهم بقص أحاديث اليوم وبعض القصص التى سمعهامن أبيه أو جده أو حكاها له أحد الأصدقاء فى الصباح.

وسوف نقوم بالتعليق على القصص التى تحتاج إلى تعليق وشرح وسوف نترك بعض القصص لسهولتها - اللغوية - وجمالها ووضوحها .

وأفضل شئ نفعله ، فيما نرى ، أن نضع بين يدى القارى النماذج الناطقة الدالة من هذا

الشعر القصصى البدوى ، مهما تشغل مساحة من الكتاب تطغى على حجمه ، أو تفوق المساحة التى يأخذها أى قسم آخر من أقسامه - ولا ندعى أننا سوف نجمع القصص الشعرية كلها جميعاً فى الصفحات المقبلة ، فليس غايتنا آخر الأمر إلا أن نسوق النماذج، لا الجمع الشامل - ولسوف تظهرنا القصص الشعرية على تنوع اهتمامات البدو بين القيم الخلقية العليا ، وتسجيل وقائع بعينها من الحياة ، وتفسير أحداث عارضة يعرفها أصحاب القصص - وليس من شك فى أن تنوع الاهتمامات علامة على ثراء الثقافة التى يتداولها البدويون ، ويبدعون مفرادتها ، لأنها ضرورة حياة ، وجوهر الهوية ، وأقوى أداة فى ضبط المجتمع وتنظيمة .

قصة مرادى : (١)

أحب العبد ابنة سيده وكانت تسمى " مرادى " وأحبته الفتاة ، وفى يوم من الأيام خرج سيده إلى عرس لأحد أقاربه ، وترك الفتاة فى المنزل ، فاختلى بها العبد ، وعندما جاء أهلها هددته إذا لم يخبرهم بما حدث فسوف تخبرهم هى وسيقتلونه لا محالة ،وهنا وجدنا حسن التخلص عن طريق الشعر وأشارت إليه أن يتكلم فأنشد قائلاً :

والبارحة بالليل جتنى مرادى ... زينة الحلا يا كاملة كل الأوصاف
ضميتها ضم بكل الأيادى ... وسقيت زرع فى الحشا بعدما هاف
يا بوجعيد قبل حبل الشدادى ... بالطول أم الكثر زاف ورزاف

فلما سمع أهلها بأنه ضم ابنتهم وفعل بها ما فعل رفعوا سيوفهم من أغمادها ليقتلوه وليمسحوا هذا العار فقال لهم : انتظروا حتى أكمل باقى القصيدة فأغمدوا سيوفهم وأنفاسهم أحر من الجمر فأنشد قائلاً :

ولما أقبيت وطال عنى رجادى ... غير واننى فى لجد وهى بالأرياف

أى أنه قال أنه كان يحلم بذلك وهذه رؤيا فى المنام وليست حقيقة فهل يقتل لأنه كان

(١) نقلاً عن الأستاذ / مسلم حسن عجلان ، قرية قبر عمير الشيخ زويد

يحلم ؟! فخلوا سبيله وطردوه من خدمتهم ، ولكن ما هى إلا بضعة شهور حتى حملت ابنتهم ، وكان والدها متسامحاً فلم يقتلها وإنما بعث وأتى بالعبد وزوجها وذابت الفوراق بين الطبقات لأن البدو كانوا لا يزوجون بناتهم للعبيد ، وأصبحت القصة حديثاً للبدو فتشجع العبيد وتزوجوا من الحرائر وذابت الفوراق الطبقية - العنصرية - وأصبح الشعر بذلك ذا دور اجتماعى يخدم رسالة فى المجتمع القبلى .

ويتميز الشعر القصصى بالسهولة اللغوية والوضوح التام وعدم استخدام الكلمات الحوشية والغريبة ، كذلك يستخدم القوافى ذات الوقع الموسيقى الرنان الهادئ والمحبب إلى النفس - أى المتناغم - ويتميز الشعر القصصى بالطرافة وخفة الظل وجمال وتسلسل السرد ، والإعتماد على البحور الصافية ، كالبحر الكامل والمتدارك والرجز يشارك فى الإيقاع المتناغم حسن استخدام حرف الروى الذى يجعل الكلمات ذات جرس إيقاعى هادئ وجميل .

قصة بوكشة :

هام أحد الأعراب فى حب " بوكشة " ورأى منها ولعاً وحباً فلما أتاها خاطباً وجدها تخطب لرجل أصغر منه سنا ، وقد شاب هذا الإعرابى فى حبها فلما علم بخطبة الفتاة جن جنونه وضاق بحياته فخرج إلى الصحراء يشكو لها منشداً :

وحالى مثل حال اليتيم	اللى من مكة صبح على الشام
واللى يمشى " لبوكشة " خطيبى	الله يجعله ما يمشى على صح الأقدام
قال خطبها جدام لا شبيهى	واليوم شيبت من العوراض وجدام
قال أمهيب دافيات الحليبى	امدرجات الخوير بلا رزام
قال يغضبنى فى ملعبات الذريبى	ويقوم الليل لا الولد حيث ما قام
قالت أنت الشايب وعقلك خريبى	والبنت لا ترضى على الشايب التام

فهو يصف حاله هنا باليتيم فقد سار مسافة كبيرة من مكة إلى الشام ، وحينما وصل إليها فى الشام ليخطبها وجدها قد خطبت لشاب صغير ، وهو رجل قد علاه الشيب ، فكيف تقبل الفتاة التى فى مقتبل العمر رجلاً عجوزاً ؟! وهل ستفضل العجوز على

الشاب ؟! إنها مفارقة صعبة ، فذهب قاطعاً الفيافى ينعى حظه ويتذكر أيام الشباب فهو لو كان شاباً - الآن - لرضيت به وتزوجته .

وهنا نرى استخدامه للكلمات الموحية ذات الدلالات العميقة ، فوصف نفسه - فى البداية - باليتيم وهو تشبيه جيد ، حيث شبه حالته فى قولى (وحالى) وهذا هو " المشبه " باليتيم وهو " المشبه به " وأتى بأداة التشبيه " مثل " وبوجه الشبه وهو اغترابه واغتراب " اللى من مكة صبح على الشام " وهذا تشبيه متكامل الأركان ، وقد أفاد هذا التشبيه فى تصوير حالته النفسية ، ثم نراه يدعو على كل خاطب لحبيبته بوكشة بأن يبتليه الله بمرض فى أقدامه ، ثم نراه يفرق بين حالته وهو عجوز بحالة الشاب اليافع الصغير وهو متأثر من قولها له : " بأنه شيخ قد أصابه خلل فى عقله فظن أنها ترضى به بدلاً عن الفتى اليافع"، ونرى تكرارا استخدام الفعل " قال " ، " قالت " لنرى عظمة الدراما فى الحوار وسهولته دون تكلف أو اصطناع لأنه يتحدث بوله ، والواله لا يتكلف أبداً.

قصة خليف وحبه للبدوية :

كان خليف عبداً ، وكانت بين قومه وبين قبيلة مجاورة عداوة ، لكن خليف أحب ابنة شيخ القبيلة المعادية لقومه ، وكان خليف فارساً شجاعاً ، فكان يغير على الأعداء ويكسب منهم الكثير من الإبل والنوق والمراعى والأرض ،ولم يكن يهمه أو يروقه إلا أن ينظر إلى أعدائه وهم صرعى ، ولا يعجبه إلا صليل السيوف وصوت الرماح ، وكانت تسليته المحببة أن يرفع سيفه عالياً نحو السماء فيبرق السيف ويتلألأ ولكنه فى يوم من الأيام وقع أسيراً فى أيدى أعدائه فأحضروه إلى شيخ القبيلة ، فشاهدته ابنته - حبيبته - وهو أسير مكبل بالقيود والأصفاد وقد هموا أن يقتلوه فأرادت حبيبته أن تنقذه فذهبت إلى أبيها وأخبرته بأن الأسير عبد ، والقبيلة لا تقتل العبيد بل تجعلهم من الموالى والخدم فى القبيلة ، فتركوه وهى إنما قالت ذلك ليصبح حبيبها إلى جوارها ولكن خليف غضب إذ وسمته بالعبد وهو الفارس الشجاع ولم يحتمل قولها فأنشد قائلاً :

استغفرى لربكى يا بنت يا أم العشاشيق	فى قولكى عبد من عبيد الموالى
كلنا عبيد لله زين المخاليق	يا بنت مما جرى هذى أحوالى
أنا " خليف" يا بنت لنا شفات الريق	جرايهن لوحدث ليهن جفالى
يا كسبكم منا بكارا صعافيق	ويا كسبنا منكم جز اللحى والرجالى

فأعجب شيخ القبيلة بشجاعته واصطفاه لنفسه فلما علم ما كان من أمر ابنته وأنها تحبه سر أيما سرور وزوجها لهذا البطل الشجاع ، ولما علم أهله وقبيلته بما حدث أعدوا العدة وذهبوا للقبيلة وتم الصلح بين القبيلتين نتيجة لأجل النسب والمصاهرة وأقيمت الأفراح وحل السلام بعد طول عداوة ومنازعات. إذن الشعر كان يلعب دوراً اجتماعياً عظيماً فى إزالة الطبقات وتلويبها ، وفى إحلال السلام والأمان بين القبائل ، ولهذا صدق المثل القائل " بأن الكلمة أقوى وأمضى من السيف " وأن الشعر هو الكلام البليغ وهو ديوان العرب وتاريخها العظيم .

" قصة ابن غبن وضيوفه" :

قص الشيخ "حسين سلامة الزميلى من قبيلة " الاحيوات " قصة ابن غبن فقال[1] :

" حدث أن كان رجال قبيلة " الاحيوات " فى غزوة وكان ينتظر عودتهم الشيخ " طوق " وهذا اسمه .. وهو رجل كبير السن ، وعند عودتهم طلب الشيخ " طوق " أن يقوم كل عشرة رجال بذبح "عنزة " لطعامهم ، لكن الرجال أبدوا عدم رغبتهم فى أكل اللحم فأمر لهم الشيخ " طوق " بالدقيق والسمن فصنعوا منه " الفت " - طعام - وأكلوا وشبعوا ، وعندما هموا بالإنصراف سأل الشيخ طوق عن أكبر الرجال سناً فقالوا له إنه " ابن غبن " أكبرنا فقال له الشيخ " طوق " : " أنا داخل عليك فى مغنى الركاب " أى هل أنت تكفل عدم استهزاء الشعراء بى لعدم الذبح لكم وقد كان الشعراء إذا لم يأكلوا اللحم قاموا بهجاء الرجل فلا يقوم له مقام بعد ذلك فى القبيلة - فقال له " ابن غبن " : " دخلت وسلمت " وفى الطريق هجاه أحد الشعراء قائلاً :

طوق يا فـــــوة عـجـــوزة   مــــــا دسم اللحــــــاه

وهو هنا يقصد اللحى وأنه لم يطعمهم لحماً دسماً تظهر آثاره على لحاهم لأن اللحم يلتصق آدامه باللحى غالباً فرد عليه " ابن غبن " بقوله :

يا عـــبـــد يا أبو تمامـــة   طوق مـــاجـــه للمـــلامـــة
القـــمـع والســـمن مـــتـلل   والغنم على المثـــامـــة

---

(١) " القضاء العرفى فى سيناء " كمال عبد الله الحلو ، سعيد ممتاز درويش ، متحف التراث السيناوى بالإشتراك مع السفارة الهولندية ١٩٨٩م .

ثم قام " ابن غبن" فأخرج السيف وقطع يد الشاعر لأنه هجا الشيخ " طوق " وهو فى حمايته ، فلما ذهبوا للقاضى ليحكم فى القضية واستمع للقصة ، اعتبر القاضى أن قطع يد الرجل حق للشيخ طوق ، أما الكفيل - أى ابن غبن الذى أدخل الرجل فى حمايته ليحميه من استهزاء الشعراء - فقد أخرج القاضى راية بيضاء وأعطاه له للدلالة على أنه أدى واجبه عندما كفله من الهجاء ومنذ تلك اللحظة أصبحت مثلاً فى " بياض الراية " التى يخرجها القاضى فى أحكامه .

من هذه القصة نستطيع أن نرى مدى الدور الخطير الذى يلعبه الشعر فى الدفاع عن الكلمة وعن الكرامة وأن الكلمة أقوى من السيف ، وأن تقاليد البادية يجب احترامها فها هو جزاء الشاعر الذى ذم الشيخ " طوق " واتهمه بالبخل - وهو كاذب يلقى الجزاء الصارم بقطع يده . إنها حياة البادية بقيمها النبيلة وليست قصصاً تقال للتسلية والمتعة بقدر ما فيها من حكم وأمثال ومواقف فيها دستور البادية العظيم الذى لا يعادله دستور آخر فى حياة المدينة وصخبها .

عاشق الحياة والحب العذرى :

رقد الشاعر على فراش الموت ، يشكو الصبابة والوجد ، ويطلب أن يرى المحبوبة قبل أن تموت ، وقد جاءت حبيبته فدار بينهما حوار طويل يقول العاشق :

امهل على يا موت لك الهجور المهالى
لما اســــــــال الـعين بـرواك

(فردت عليه محبوبته) :

الموت إن جـانا مـا أخـذنى لحـالى
بيـاخـذ الروح وبيـرمى الجـثـة
عـلى الأرض مـــا ألـقـــاك

(فرد عليها) :

أنا لو أشوف الموت واقفل بالى
لطلق عليه من " الصورايخ ما كفاه
واستيسره فى سجن ظالم وحالى
وأجيب له كرباج وعبد يتولاه
وأوريه كيف ابن آدم يوم تولاه

(فردت عليه) :

ما بينفع إن جانا الموت
ما أخذنى لحالى
توب للمولى عزيز الجلالة واطلب الله
وصلنا تسامحنا وسبنا القتالى

فهو هنا لا يريد أن يموت ليبقى إلى جوار محبوبته ولكنها طلبت منه أن يذكر ربه وأن الوصال فى التسامح فهى هنا لم تبك ، بل كانت رابطة الجأش تصبر وتحتسب .

ونحن نرى جودة الحوار وسهولته ومدى تمكن المرأة فى الرد والإجابة علاوة على قوة الإرادة والإيمان بالله الواحد القهار وأن النفس أمانة يستودعها لدى الإنسان ثم يأخذها أيان شاء سبحانه وتعالى .

قصة بئر قشران :

كان لدى أحد الأعراب ناقة ، وكانت هذه الناقة تساعد الأب فى حمل جرار الماء من " بئر قشران " التى تبعد عنهم ، وأراد ابن هذا الرجل بيع الناقة فعز على والده بيعها ، فما كان من الأب - فى غفلة من ابنه - إلا أن كسر جرار الماء التى تحملها الناقة ، وبعد السير فى الصحراء عطش الولد فقال الأب :[1]

وردنى على بير قشران ... وردنى ورجلى حفية
يدعى ربك بالتساهيل ... ولا يدعى بفراق حسن البهية

(١) نقلاً عن الأستاذ / سالم مصطفى سالم ، مكتب وزارة السياحة

أى أنه يقول لولده أن الناقة هى التى تأتى بالماء فكيف إذا بعتها ؟! إن النتيجة لذلك أنهما سيقومان بحمل الماء سيراً على أرجلهم الحافية والوالد وولده يئنان تحت شمس الصحراء المحرقة . فعرف الولد قيمة الناقة فتراجع عن بيعها . هكذا يكون للشعر الدور الأكبر فى إصلاح العقول وضرب الأمثلة وفى تسيير الأمور فى البادية المتسعة المترامية الأطراف .

قصة العبد والبدوية :

سافر البدوى وغاب عن زوجته فترة طويلة ، وبعد عدة أشهر عاد إلى بيته ، وكان الظلام قد حل على الدنيا فسار فى هدوء ، لكنه سمع صوت زوجته وهى بأحضان أحد العبيد فنظر إليهما دون أن يشاهداه وفى الصباح رجع إلى زوجته واستقبلته بالعناق والترحيب ، ولم يتكلم الرجل ، فلما جاء المساء أرادت الزوجة أن تختلى بزوجها وكان اسمه " عيد " ، لكن زوجها ابتعد عنها فلما سألته عن سبب ابتعاده وعزوفه وهى مشتاقة إليه أنشدت المرأة قائلة [1] :

يا عيد يا عيد المقاورة   منامك ليه ما تنام فيه

(فرد عليها قائلا) :

أنا عيد وعيد المقاورة   منام العبد ما بنام فيه

(فردت قائلة) :

يا عيد يا عيد المقاورة   قول الناس لا تردن عليه

(فرد عليها قائلاً) :

قال : أنا عيد وعيد المقاورة   شوف عينى ما بكذب فيه

وقام إليها وذبحها ثم قام ودفنها حتى لا يلطخ اسمه فى القبيلة .

---

(١) نقلا عن : " عيد سليمان اشتيوى " الفرقة القومية للفنون الشعبية - قصر ثقافة العريش .

إن شعر البادية القصصى شعر رقيق على النفس محبب اليها تتجلى فيه الدراما لتصبح سمة أصيلة لهذا الشعر .

هكذا تمثل لنا الحكاية حياة البادية حياة تحكمها التقاليد الراسخة ، حريصة على الشرف والوفاء ، تحتقر الخيانة إلى أقصى مدى ، فالبدوى شهم ، ولكنه يرفض أن تخونه زوجته ، ولا يراها مع الخيانة جديرة بالحياة ، ويرى أن الخلاص منها تطهير لحياة البدو من إثمها الشنيع . ولا تخلو القصة من جودة الحوار وقوته ، بين الرجل وزوجته ، فكان الحوار ذكياً، لا يصرح ولكنه يشير، يتوسل بالشعر ، فيدخل الشعر خباء المرأة ، لا لأجل الغزل ، ولكن لفضح سلوكها المشين ، وإلجامها عن الكذب . ومن براعة القصة أن المرأة تجارى الرجل فى حوار الشعر ، بل إنها لتبدأ الحوار ويجيبها الرجل ، ويلتزمان وزناً واحداً وقافية واحدة ليزداد الحوار إتساقاً ، ويطوع القاص الشعر للحوار قبل أن يطوعه أحمد شوقى ، وعزيز أباظة ، وغيرهما من أساطين المسرح الشعرى العربى الحديث .

الفتاة والعجوز :

خطب رجل عجوز طاعن فى السن فتاة صغيرة ، ولما جاء أولاد عمها فنظرت إليهم ووجدتهم شباناً يا فعين ، فحزنت على حظها العاثر وأنشدت قائلة :

عينى لن رأت طير بيغير جنوسه وأبوى باعنى للعجوز من كترة فلوسه

فلما سمع أولاد عمها بذلك رفضوا تزويجها للعجوز وتقدم أحدهم لوالدها ليتزوجها فما كان من عمه إلا أن رضخ لابن أخيه وزوجه ابنة عمه لأنه أولى من الغريب وكان بيت الشعر هذا سبباً فى تغيير الحال فأصبحت سعيدة بعد أن كانت ستتزوج العجوز .

وهى هنا تقول بأنها لم تر طائراً بغير جنسه فلا يمكن " للصقر أن يتزوج " ببومة " ولا يمكن للحمامة أن تتزوج غراباً ، وهى البكر الجميلة فكيف تتزوج عجوزاً غير مناسب لها.

وهى تقول أن المال هو سبب ذلك ، فهى بهذا البيت قد استنفرت رجولة أبناء عمها وأتت بعدة تصاوير حسية جميلة كقولها " عينى " وأتت بالفعل " رأت " لتدل على انكسارها ، ثم مثلث " بالتشبيه الضمنى " الجميل فى تشبيهه حالة بحالة أو هيئة بهيئة

فحالتها كحالة الطير الذى يغير جنسه وأتت بكلمة " جنوسه " جمعاً - للنسبة - للتأكيد على الحالة النفسية الحزينة التى تعانى منها ونجدها تستخدم " التصريع" والقافية الرقيقة " الهاء " واستخدام حرف الروى المعتمد على الهمس الرقيق " السين " الذى يؤثر فى القلوب ويدميها ، ومن هنا رق قلب أولاد عمها ولم يوافقوا على هذا الزواج .

قصة راعية الغنم :

سارت الفتاة فى الخلاء ترعى الغنم ، واشتدت حرارة الشمس فجلست تحت شجرة تحيك ثوباً ، فجاء رجل يغازلها فأمسك بالإبرة والخيط والثوب حتى تتكلم معه وتبادله الوله والهيام فقالت له :

حط الثـــوب وابرته فـــوقـــه	لعـجـمك قـول مـثل المر مـا تطوقـه
ونطورسك قـيـد ونكسر ارجـيـلاتك	غـربى عـربنا تلحظ تلاقى أخـيـاتك

فهى تحذره إن لم يترك الثوب والإبرة ويذهب لحال سبيله فإنها سوف تقول له قولاً يعجمه أي يجعله يقف مشدوها لا يستطيع الكلام ، ثم وصفت هذا القول بأنه مثل المرار وهو لن يطيقه وهذا تشبيه جميل ، كما أن تكرار فعل الأمر (خمس مرات) يدل على شدة لهجة التحذير وقوة الألفاظ ، ثم أتت بفعل الأمر " نطورسك " أى نقيدك ، ثم أتت باسم المصدر " قيد " ليدل على قوة الألفاظ ، وأتت بالتصغير فى كلمته " ارجيلاتك " لتدل على التحقير والاستهانة به ، وهذا دليل القدرة والقوة ، ثم أمرته فى النهاية أن يتلحظ ، ولنتأمل قولة " تلحظ" النادرة فى الإستخدام أى تدعوه ليجيل النظر هنا وهناك، وليكثر اللحظ وهذا استخدام جديد لفعل غير مطروق .

فهى هنا تحقره وتعنفه ، ونلاحظ استخدام " حروف القلقلة " مع استخدام القافية المرققة (حروف اللهاة) - الهاء - لتدل على هدوء النفس بالنسبة لها ، كما تدل على الاستهانة به وعدم الاكتراث وهذا تصوير جميل يدل على مدى رسوخ القيم عند هذه البدوية الأصيلة التى لم ترتض أن تدنس عرضها أو تغازله غزلاً بغزل وما يعقبه من موبقات خسيسة وهنا يظهر معدن المرأة الأصيلة .

كما نراها تستخدم " التصريع " المنفصل لكل بيت ليدل على قوة الموسيقا الجزئية فالتنوع فى استخدام الموسيقا واستخدام الفونيمات الصوتية المتناغمة يعطى الأبيات قوة وجمالاً ، كما أننا نرى أن كل حرف له معناه وليس حشواً زائداً ، فحرف العطف يأتى للتأكيد ولتقوية المعنى ، وظرف المكان " فوقه " يأتى للتأكيد والدقة فى الوضع المكانى المنبثق من فعل الأمر " حـــط " أى اترك وتدل على الترتيب فهو سيضع الثوب ثم بعد ذلك - بالترتيب - سيضع الإبراة ولكن موضع الإبرة كما تطلبه يكون محدداً " فوقه " أى لم تقل " اترك " أو " ارم " وإنما قالت " فوقه " وهذا دليل تمكن وأسلوب تحذير ووعيد وإذلال للرجل وإلا ستفعل به الأفاعيل .

العجوز الهارب :

الشيخ " عيد أبو جرير " رجل من الصالحين ، له صيت ذائع فى سيناء ، وله مقام ومريدون ، وقد دعا العشائر والقبائل إلى التمسك بدين " الله عز وجل " وبدأ يبنى للبدو " زوايا " أى أماكن للتعبد وحلقات للذكر واجتماعات لتدارس أمور الدين والدنيا ، فتبعه الكثيرون ، وله ديوان شعر مطبوع بعنوان " بستان المحبة "- شعر صوفى - ولكن أحد الرجال - عجوز - لم يرد أن يكون من أتباع الشيخ " عيد أبو جرير " فإذا ظل فى القبيلة فسيشعر أنه منبوذ ، فسار من سيناء قاصداً اللجوء إلى جبل "عجرود" بمدينة " السويس"، وفى طريق سيره وجد فتاة ترعى الغنم ، ورأته حاملاً متاعه فسألته عن وجهته وإلى أين يقصد فأجابها بقوله :

وأن ســــألوك عنى قـــولى	شـفـتـه شـايب وعـيـونه سـود
شـــــــارد عـن الـزوايـا	وده جـــبـــــل عـــجــرود

فهو هنا قد كشف الحديث وأنه هارب من الزوايا ومجالس الذكر لأنه لا يطيق المداومة على شئ يتكرر يومياً وهو حر طليق لا يحب التقيد فى الزوايا ، فرجعت الفتاة وأخبرت القوم بما حدث فضربوا كفاً بكف محوقلين - لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم - وداعين للرجل بالهداية والعودة لطريق الإيمان .

وهذا يعكس مدى التدين فى سيناء ، بل وانتشار الطرق الصوفية ومجالس الذكر ،

فالذى يدافع عن الحق والخير والجمال والعدل والحرية لا بد أن يكون صاحب عقيدة راسخة -متدينة - يستمد منها أسباب الحياة فى حله وترحاله وفى كل أمر وشأن فى حياته .

قصة المولود الجديد :

كان لأحد الأعراب زوجة لا تنجب إلا البنات فقط وتوعدها إن أنجبت بنتاً ليتركن لها البيت ، وبالفعل أنجبت امرأته بنتاً ، وكانت تسكن إلى جوار هذه المرأة شاعرة صديقة لها فحكت لها الأمر ، فأمرتها بالصمت وأنها ستتولى أمر زوجها ، فلما جاء الزوج وسأل عن المولود قالت له الشاعرة " أن زوجته أنجبت ولداً " على الفور طار الرجل إلى السوق وأحضر كل شئ لزوجته واشترى كل ما يلزم للمولود ، وحنيما عاد ، ودخل المنزل والسعادة تغمر وجهه فأنشدت المرأة قائلة [1] :

مرت الفهد جابت فهد زيه   الأوله عالية والميخرة عليه

أى أنها تقول له : أن امرأته جاءت بفهد ، واسمه " عاليه " وهى لا ذنب لها لأنه هو الذى يضع البذرة فرضخ الرجل لأمر الله واستعاذ بالله واحتضن ابنته . وهكذا نرى دور الشعر فى الإصلاح الإجتماعى وتقويمه للأمور واصلاح شأن القبيلة والمجتمع .

---

(١) جريدة سيناء الإقليمية ، على هامش التراث ،أبريل ١٩٩١م

الفصل الخامس

أمير شعراء
بادية سيناء

أمير شعراء البدو بسيناء هو الشيخ " عنيز سالم " من قبيلة " الترابين " إحدى قبائل سيناء الأصيلة . وقد عرفه البدو شاعراً جوالاً ، ولغوياً مخضرماً ، لا يكتب الشعر إلا لغرض نبيل ، ولا يتحدث معك إلا أعذب حديث ، فأحبه البدو واعتبروه أباً روحياً لشعراء البادية .

ويسكن هذا الشاعر " بجنوب سيناء " - مسقط رأسه - ويتجول من الشمال إلى الجنوب يقيم أمسيات السمر الجميلة ، فإذا تحدث حفظ الناس حديثه لأنه عذب وسلس جذاب .

ومن الطرائف الجميلة ونحن نتحدث عن أمير شعراء البدو - أن نعرف أن " سعد زغلول " زعيم الأمة حينما شكل أول مجلس نيابى بعد دستور ١٩٢٣م اختار أمير الشعراء " أحمد شوقى " ليكون نائباً لسيناء فى البرلمان ، واستمر يمثل سيناء حتى وفاته عام ١٩٣٢ م وكانت مبررات " سعد زغلول " فى اختيار " أحمد شوقى " : " أن سيناء أرض مقدسة ترتبط بالديانات ،والقداسات والنواحى الروحية وتحتاج إلى ممثل من نوع خاص [(١)] " .

والشاعر " عنيز سالم عنيزان " له رؤية ثاقبة للأشياء فهو بصورهاكأنما نراها ، ويتحدث عن الحق والحب والحرية والعدالة بأسلوب رائع بليغ .

وقد سبق أن قدمنا له - فى باب القصيد - قصيدته " العصفور " ومطلعها قوله :

يا طيـــر مـــشين طبـــعك   بعد تغيبك ما أنت منطاق

ونراه ينصح أهله فى البادية ويتعجب من التغيير المادى الذى قلب الأمور رأساً على عقب وأصبح الرأى للسفهاء لأنهم أغنياء ، حيث اختلت القيم النبيلة أمام تيارات الحضارة الحديثة ، ونراه يطلب للصراحة أن تكون سمة لسكان البرارى فيقول :

---

(١) جريدة سيناء الإقليمية " أحمد الطبرانى " ١٩٩٠ م

يقـول المعـانى كل مـا نفسـه تطيب — وكل مـا يشـعـر ضـمـيره براحـة
البـارحـة بيت نومى تغـاصـيب — والقلب اللى مشـتكى من مـراحـه
وشديت على اللى من النيـاق المواهيب — عـودن اكعـوبك مـا ينوشن اصفـاحـه
وارجد عليه من الدقش طيب على طيب — وارخى شليل العـود يا خـد براحـه
وسـوقـه على سـاكنات البـروتجـيب — تجـيب لى منهم علوم الصـراحـة

ونراه بعد ذلك يدعو إلى نبذ العداوة والبغضاء ومعاملة الجار معاملة حسنة فيقول :

جـارك تجـيله بالمودة والإحـسـان — ولا تحـدى الجـار على نعل عـابـل
عندى قـصـيدة قـالهـا جـدنا سنان — فى آخـر زمـان وكل شئ له دلايل
واعرض معـانيهـا على صاحب الشان — مـشـرع بين الرمك والأصـايـل
فـلان قـالوا فـازع بسلحـة فـلان — ويقـول حـق مـصلبتـه غشـايـل
جيت العرب فى الليل والكل نعسـان — ولقـيت على دار العـرب دم سـايل

فهـو هنا يطالب بالمعاملة الحسنة للجار وعـدم التعـدى على حقوقه وهذه وصيـة قد أوصاها الأجداد لأولادهم ، فلا بد أن تنتشر الصراحة بين القوم فى البادية حتى لا تغيب القيم ويصبح الرأى للسفهاء

ثم نراه بعد ذلك يصف الناقة بالقوة والسرعة فيقول :

يا راكب من فـوق شـقـرة صلوفـة — تقـول نعـافـة بالجـرى ذيبـة
ركـابهـا يشكى مـعـاليق جـوفـه — ممشى شـهـر فى يوم واحـد تجـيبـه

فهو يصف الناقة بأنها شقراء وقوية ، لها ساق مدملجة كأنها تطير من شدة السرعة حتى أن راكبها يشتكى ويلهث لأنها تسير وتطير ، فالنياق التى تسير فى شهر لتصل إلى مكان معين تجدها تسيره فى يوم واحد وهذا دليل القوة ومبالغة فى الوصف كناية عن رشاقة الناقة وقوتها . ثم نراه يحث على الفضائل والتحلى بأخلاق الرجولة والأنفة ومعالى الأمور فيقول :

أوصـيك لا تاكل عـقـاب الوليـمـة — ولا تقـعـد مع الرجـال الدراويـش
وخلك صـبـور وخل عندك عـزيمة — واصـبـر حـتى يتكامل لك الريش

فهو هنا يصف بألا يأكل الرجل بعد أن يأكل الرجال كذلك يدعوه إلى الجلوس مع أكابر القوم وليس مع السفهاء ويجب أن يتحلى الرجل بالعزيمة والصبر وأن يرضى الإنسان بما قسم الله له وإذا تم الإعتداء على حقه فيبعث للمعتدين " الكفيل " أى رجل يتكفل برد الحق إلى أصحابه ، فإن لم يستطيع أحد أن يأتى له بحقه فعليه بالصبر حتى يستوفى عدته ، ويستكمل أهبته ويكون قادراً على مواجهة الخصم ويطالب بحقه عندئذ ، وهذه دعوة حق ، وهنا تراه يأتى بصور بيانية جميلة ، ويوصى العرب بصفات فاضلة ، ثم نراه يشبه الرجل الضعيف " بالزغب " أى بالطائر الصغير الذى لم يكتمل ريشه وهذه صوره جميلة قلما نجدها مستعملة فى الشعر ، وفى قصيدة أخرى نراه وهو فى السجن وقد أرسل إليه أحد الشعراء - رسالة قال فيها :

قولوا لعنيز أبو سالم	مبعر غبيطه خربانة
سويلم أخذ الغرضة	ومسلم أخذ بطانه
وعايدة لما بتشوف سالم	بترخى الثوب بكردانه

أى أنه يقول للشيخ " عنيز أبو سالم " : " أنه وهو بالسجن قد خرب البيت ، فقد أخذ سويلم ممتلكات البيت وأخذ مسلم الأغنام والإبل ، حتى زوجته " عايدة" أصبحت تنظر لغيره... وما أن وصلته هذه الأبيات حتى بادر بالهروب من السجن وأعاد الأمور إلى نصابها ثم عاد السجن مرة أخرى مرفوع الرأس مرتاح البال .

هذه حياة البادية بعبقها وتراثها الجميل ،كانت هذه نبذة مختصرة عن " أمير شعراء البدو " الشيخ " عنيز سالم عنيزان " شاعر سيناء الأصيل .

الفصل السادس

اغـــراض الشعـــــر البـــدوى

تتنوع أغراض الشعر البدوى ، ونرى أن هذه الأغراض مستمدة من أغراض الشعر الجاهلى ، وتتنوع بين الوصف والفخر والرثاء والمدح والغزل والحكمة والهجاء وغيرها .. وسأتناول بعض الأمثلة لهذه الأغراض .

أولاً : الوصف :

الوصف من الأغراض الجميلة لشعرنا العربى ، ويتنوع الوصف فمن وصف البدوية إلى وصف الديار إلى وصف الناقة ووصف الخيل والفروسية يقول شاعرهم [١]

رن حـجـل البـدوية	رن واعـجـبنى دويه
يا جـمـيل الصـالحـيـة	وين بت البـارحـيـة
بـت فـى حـنـة ورنـة	والعطور الفـايحـيـة

فهو يصف جمال سيقان الفتاة البدوية وهى تلبس الحجل (الخلخال) وعندما تسير يصبح له دوى جميل .

ويقول الآخر [٢] :

مـرحـبـاً يا مـرحـبـا	يا بكرة يا شـمـاليـة
صـفى قـدمك صـفـيـه	صـفـة القـمـحـة الدبيـة
بـكـرة ألـقـى عـلـى أهـلـك	كـمـنهم بـدوكى لـيـه
يا بـكـرة يلى صـبـاحك	زى الـلـبن فـى الـزبـديـة

فهو يصف جمالها بالبكرة أى الناقة القوية ، وكما وصفها بأنها كاللبن فى الزبدية وهذا وصف بيئى جميل وفطرى غير مصطنع .

وهذا شاعر آخر يصف الديار ويبكى على الأطلال وأيام الطفولة فيقول :

---

(١) العودة إلى سيناء ، لوسى يعقوب ، دار المعارف ١٩٨٥ م

(٢) نقلا عن والدى الأستاذ / عبد الهادى محمد السيد . وكيل مديرية الشئون الإجتماعية.

يا ديرتى يا مـرياى وقت الطفـولة	مـا انسى غـلاكى وجيتكى اليوم زوار
حى الله أولاد الجـبل وسـهـولـه	والمتـر يرزق مـثل دقـــــة الثـار
سـيناء يا أرض الكرم والرجـولة	جـوكى شـيالة الغـبل جيـابة الثـار

فهنا نراه يصف الديار التى تربى فيها وقت طفولته فهو لن ينسى أيام الصبا وأنها أغلى شئ عنده وهو اليوم قد جاء إليها زائراً ، ولا يستطيع الإقامة فى بلدته بسبب الإعتداء الإسرائيلى الغاشم الذى أبعد الأهل عن ديارهم ، إلا أنه يحيى الشجعان من أبناء سيناء الذين دافعوا عن الوطن .

ويقول الآخر فى وصف الخيل والفروسية :

يا راكب بالصـرغ وزن عـيـارة	يوطى على صم الحذى والمسامـيـر
وان حسن لكازات الكعب بانتشاره	يخلى ذيله على قطاته بعـــاتيـر

فهو يصف الحصان فى سيرة بصوت طلقات الرصاص ، وحينما يسير فكأنه يطير ، فإذا سار فوق الصخور أو على المسامير فإنه لا يتأثر وذلك كناية عن القوة . وراكب الحصان شجاع حين يلكز الحصان برجله فإنه يجرى ، فإذا لم يحسن الراكب ركوبه فإنه يسقط وتتبعثر أشلاؤه وهذا دليل السرعة .

ويقول الآخر فى وصف الجمل بأسلوب فكاهى جميل :

عندى قـعـود أحـمـر شـرود	بيـسابق ظـل الطيـارة
وفـى رفـع غـنـى وطـفـح	وفى العـريش لقى الحشـيش
ودوبـى رديتـــــه عـنـه	وفـى المزار لـكاده طـــار
لـــولا المــلايــكـة ردنــه	وأهل الغـيطان شـردوا منه

وهنا يصف القاعود (الجمل) بصفة الخفة والرشاقة وبأنه شرود يسابق الطائرة عندما تطير وهو يغنى ويجلس على العشب الأخضر ويكاد أن يطير لولا خوفه من الملائكة ، وهو من رعونته شردوا منه أهل الغيطان ، ونرى هذا التصوير البارع ليدل على خفة الدم عند البدوى ونرى جمال استخدامه للتشبيهات الخيالية التى قل أن نجدها فى الشعر العربى الأصيل .

ونجد جمال الوصف وبلوغ الخيال إلى الذروة حين يقول شاعرهم فى وصف " الديك":

جيت مورك على الديك السمين	من شرق لمجمع الجلادين
ويوم بورك على الديك	تقول مورك على هجين
عليقة أربع أرطال	مكيل من عند الدكاكين
يا بنت هاتى موسى الزيانة	خلينى أدبح الديك السمين
أو طينا سوق المجدل	جبنا له أربع جزارين
يا حرمة ودى لا هلك	لنه من روس الجناحين
عيه بدور وحضر	فى جر المصارين
طارت من القدر كلوة	نزلوا لهى أربع عوامين
خمسة وعشرين بديوى	فى القدر غرقانين

وهنا نرى جمال الوصف ، فهو قد اشترى ديكاً كأنه الجمل " الهجين " فهو يأكل أربعة أرطال ، والرطل ثلاث كليوات وهو من كبره قد استأجر أربعة جزارين من سوق " المجدل " لذبح هذا الديك ، وطلب من زوجته أن تهدى لأهلها من أطراف الجناحين دلالة على كبر حجم الديك .

ونرى جمال الوصف - المبالغ فيه - حين وصف البدو والحضر بأنهم قد تعبوا وهم يجرون " المصارين " ، ثم يصف كبر حجم " القدر " الذى سيقومون بطهى الديك داخله ، فلما طارت داخل القدر كلوة نزل لها أربعة عوامين " سباحين " ليخرجوها ، ولا يكتفى بذلك بل يقول إن خمسة وعشرين شخصاً قد غرقوا فى هذا القدر الكبير ، وهذه مبالغة فى الوصف تعدت الخيال وفاقت الأسطورة فالوصف هنا لديك أسطورى .

وهكذا نرى البدوى قد أفلح فى جعل الوصف غرضاً من أغراض شعره ، فهو يصف البيئة ويصف جمال البدويات ويصف الخيل والخيال بأسلوب جميل وبصفات لم تستخدم قبل ذلك بهذا الوصف وهذا الجمال التصويرى .

إن الشاعر البدوى هو المصور ، صاحب النظرة الثاقبة فى تصوير البادية بكل ما فيها فاستحق الشعر أن يكون ديوانها الخالد العظيم .

ثانياً : الرثاء :

البدوى بطبعه يفرح لأفراح الغير ويحزن لأحزانهم ، فقد يرثى نفسه أو يرثى غيره وقد يرثى جمله العزيز الذى مات وقد يرثى محبوبته التى فقدها وغادرت الدنيا ، إنه الرثاء سلوى القلوب يقول شاعرهم :

ويـــا حـــظ لـــدورك	تحت السكن للقـــــاك
كل الخــلايق تتـدير	وأنت فى مـــجـــراك

فهنا ينادى ويندب حظه العاثر ، فهو إذا ذهب إلى أى مكان فإن حظه العاثر يلاحقه ، فإذا دفع السكن " رماد النار " فإنه سيجد حظه العاثر ينظر إليه ، وهو يقول إن كل الخلق يذهب عنها حظها العاثر ويتغير حالها ، إلا حظه فإنه لا يتغير ولا يتبدل .

ويقول الآخر :

حـــدى يا قـــحـــوف النخل	حـــيـــاكى المقـــاطف مـــات
مـــا قـــتلوه غـــيـــر السلالى	والقـــحـــوف الماكنات

فهو هنا ينادى على النخيل بأن يقف حداداً لموت " لقاح النخل" أى الرجل الذى يأخذ من لقاح الذكر ويلقح الأنثى ، وهو الذى يجنى ثمار البلح ويقطع الجريد .. والذى قتل هذا الرجل إنما كانت " السلالى " وهى عبارة عن أطراف مدببة تخز الذى يتسلق النخلة وموجودة فى " الجريد " كذلك " القحوف " وهى الأماكن الخشنة فى النخلة .

ونرى أنموذجاً آخر لأحد شعراء البادية يرثى لحاله فبعد أن كان " شوير العرب " أى حكيمهم أصبح محنى الظهر لا يستطيع أن يمشى أو يدلى برأى ، يقول :

وأنا ابن سبع سنين وابقوا عزايمى	ولا عمرى أنا من الحروب وليت
آجى على الضيفين وأنا فى غاية الصبا	يرحبوا بى ساعة أنا ما أتيت
ولما كبرت اليوم وغاظنى الكبر	ليش أجبيت أنا بدراعى واتشليت
ليش يا ظهرى من بعد شديدن الصبا	وصرت مثل القوس وانحنيت
وليش يا وش بعد انت مليح من بعد	مكرمش أنا يا وش وارتميت
الصبا أنا عقب ما كنت شوير العرب	الجبن زى بقص أن رحت ولا أن جيت

فهو هنا يرثى لحاله فبعد أن كان ذا مشورة ورأى ، أصبح الآن محنى الظهر عجوزاً لا يهتم به أحد وبعد أن كان حكيم العرب، أصبح الجميع لايستشيرونه فى شئ ويقول الآخر:

يـا ذيب بـكـانـى عــــــويلـك   من أول الفـرح يا ذيب ويلى عـويلك

وأنت يا ذيب فى الفلا مضيع عويلك   وأنا يا ذيب ضــيــعت الاحبــاب

فهو يشكو للذئب ويحزن لحزنه ، لأن الذئب قد أضاع أولاده وهو قد ضيع محبوبه .

إن الأمثلة لكثيرة ولكننا نكتفى بما ذكرناه لنفسح المجال لباقى هذه الأغراض الشعرية لشعرنا البدوى الجميل .

ثالثاً : الحكمة :

والحكمة أحد أغراض الشعر النبيلة ، ورغم قلتها إلا أننا نجدها متناثرة بين الأبيات يقول شاعرهم :

إن خـاب ظنك فى الرفـيق الموالى   مـالك مـشـاريهن على باقى الناس

فهو هنا يحذر من الصديق ومن مكره وكأنه يذكرنا بقول الشاعر العربى :

احــــذر عـــــدوك مـــــرة   واحــذر صـــديقك ألف مــرة

فـلربما انـقـلـب الصـــــديق   فـكـان أعـلـم بـالمـضـــرة

فهو يقول :"إن خاب ظنك فى صاحبك الذى يواليك ويرافقك فلا تظن بالناس الظنون، ولا تتخذ ذلك نموذجاً على كل الناس فليس كل الناس يخيبون الظن وليس كل صاحب يخيب ظن صاحبه ، فهناك صديق صدوق تجده وقت الضيق ، وهذا أجدر أن نتخذه خليلاً.

ويقول الآخر :

الصبر طيب ومفتاح الفرج منه   نبـعـد ونقـرب حـد الله مـا عنه

فهو هنا يقول إن الصبر مفتاح الفرج وهو أفضل شئ فإذا ما حاد الإنسان فى حياته عن الطريق الصحيح ، وإذا أصابته مصيبة فعليه بالصبر فإنه ليس هناك مفر من وقع الأقدار

ولهذا قال الشاعر العربى :

ألا بالصبر تبلغ ما تريد   وبالتقوى يلين لك الحديد

والحكمة أقوال مأثورة غرضها الحث على فعل الأشياء النبيلة ونبذ الرذيلة حتى تعم رايات الحق والخير والجمال وتتحقق العدالة بين البشر

ويقول الآخر :

والهامل اللى قابل عجوزه وهم معزاه   فى معركة تيبس رياق الرجالى

والهامل اللى شرد عن رفيقه وخلاه   فى معركة تيبس رياق الرجالى

فالحكمة تقتضى أن يدافع الرجل عن المرأة فى كل وقت كما أن الحكمة تقتضى من الرجل الشجاع ألا يهرب عن صديقه وقت الضيق والشدائد .

ويقول الآخر :

ارمى اعتمادك على رقيب العبادى   ومالك ومال الهم واترك قضاياه

ولا تستحى من الحق عند السدادى   الحق قادر وين ما ندير تلقاه

وخلك نطيح النذل لا تصير هادى   النذل مثل الشوك تتعب سواياه

فهنا لا بد للإنسان أن يكون حكيماً ويرمى حموله على الله وأن يبتعد عن الهم وألا يستحى الإنسان من الحق لأن الحق قادر وله السلطان والغلبة مهما تغيرت المقادير كما أن الإنسان لا بد أن يعامل صاحبه بالمثل ، فإذا كان نذلاً فلا بد أن تناطحه فلا تصير هادئ الخلق كى لا توصف بالجبن فى المجالس ، لأن النذل كالشوك إذا تركته وخزك ثم جرحك ، أما إذا قاومته فإنك تتلف شوكته، كما نجد الحكمة متجلية بين شيخ القبيلة وأهله ويظهر ذلك فى قول أحدهم :

أوصيكوا لا تقعدوا تحت حيط مطلة   البنا يبنى والأساس يعيب

أوصيكوا لا تقيدوا نار فى واسع الخلا   والنار تورى والطريق تجيب

وأوصيكوا لا تقعدوا فى مجلس وتجاوبوا   والعين فى أولاد الأمارة تصيب

وهذه الوصية تركز على أن الإنسان لا بد أن يتخذ أساساً لحياته العامة ، فلا يتخبط فى الحياة بل لا بد أن يتمسك بمبادئ راسخة ، وهو يوصى بعدم الجلوس تحت جدار مائل أو فى وجه الريح لأن الذى بنى الجدار قد يكون بناه بناء جيداً وجميلاً ولكن بدون أساس فالقضية هنا ليست قضية الشكل وإنما قضية الجوهر، فأى أمر يتخذه الإنسان بدون أسس راسخة سرعان ما ينتهى مع أول نسمة ريح تهب عليه .

كما يوصيهم بعدم إشعال النار فى متسع الخلاء وذلك لأن النار المشتعلة يراها السائر من بعيد ، وفى الخلاء قد تجلب له النار المصائب واللصوص ، فالنار تفشى الأسرار وتدل على مكان صاحبها ، كما أنها قد تجلب بعض الحيوانات التى تحوم حوله إلى أن تطفأ هذه النار ثم تنقض عليه ، إنها حكمة من حكيم جرب حياة الصحراء وأهوالها وغرائبها .

كما يوصى بحسن التأدب فى المجلس وأن يكون الجواب على قدر السؤال ما أمكن وهى حكم من حكيم بالفطرة أملت ظروف الحياة عليه أن ينطق بالحكمة .

ومن سمات شعر الحكمة استخدام البدوى " للوصية " أسلوباً فى المخاطبة بينه وبين أهله فهو يرجو ويتمنى من الله بعض الأمور لا تقوم على ظلم فهى كلها عادلة ، وهذا الدعاء والرجاء يحتوى على حكمة فى التأدب وحسن الطلب يقول شاعرهم :

يا رب يلى من ارتجاك ما خاب	يا منجد العيان يا واسع البال

أنا اللى طالب منك ثمانى :

الأولــة : دارنٌ كبيرة وفيها الضل بندار	يتواصفوا فيها نافشات السبيل
والثانية : بنت ناس أجاويد	لن جاها الضيفان تسرع تجيب
والثالثة : بكرج على قصة النار	وأقول للصبيبى دربالك صبيبى
والرابعة : مهر تسبق الخيل بهجار	من فوق الدشمان يحيلوا لونها على حق الطنيب
والخامسة : تستر عرضى من العار	من مقعد السفاه كلامهم يغيظى
والسادسة : من جملة المال سرسوح	مد فى الحسنات أول زمانى
والسابعة : حجة وصوم وصلاة	وبريق مطلى من الكهرمانى
والثامنة : عند الشهادة يا ربى	ما تعقد لسانى

فهو هنا يطلب المعيشة الهانئة يطلب داراً ليعيش فيها تقيه حر الصيف وبرودة الشتاء وتسترة وتقيه شر الوحوش الضارة ، وهذه الدار تكون جميلة فمن يشاهدها يتفنن فى وصفها وجمالها ، كما يطلب من الله أن يرزقه بزوجة صالحة من أصل طيب تقرى الضيف وتحب الناس ، ويطلب فرساً يعينه على السير ويسابق به الخيل كذلك تراه يطلب الستر فى الحياة ويطلب أن يمد له الله فى المال لينفقه فى وجوه الخير ، كما يطلب أن يحج إلى بيت الله المبارك وأن يعينه الله على الصلاة والصوم وأن يشرب من ماء زمزم فهو أحلى من أن يشرب الإنسان أى ماء فى إبريق ولو كان من الكهرمان .

فهو يطالب بأبسط الأشياء المثالية كى يحيا حياة فاضلة .

ونرى الحكمة تتجلى فى قول الآخر :

وابيـــاه من حلمن حلمـــتـــه	حلـه بيـــــفك الظهــــــر
حــلمـت وأنــى راكـب بـابـور	ومــــفــــرب بى فى البـــحــــر
هب ريح مـــــــا هـو مليح	زقـلـب بـابـورى وانـكـســـــــر
ويادوب ازقلبت لى على خشـبـة	لجـل المنيـــــــة والقـــــدر
واللى له عـيـشـة مـا بيـمـوت	لـو تدقـــدق راســـه بالحـــجـــر

فنرى الحكمة تتجلى فى البيت الأخير حيث أن الذى كتب الله له الحياة سوف يعيش ولو دقت رأسه بالحجر ، ولهذا قالوا فى المثل البدوى : : " السالمة لهى فى البحر طريق " ونرى الآخر يقول فى " موسم الصيد " :

لا تفرحوا بالصيـد يا صايد نيـه	والصـيـد مـا بيجى فى ليـالى مـلامح

فهنا يناجى الصيادين ويقول لهم : " إن الصيد لا يأتى فى الليالى الصافية ، بل فى يوم المطر الشديد أو يوم عاصفة ، فإذا رأى البدوى العاصفة فإنه يفرح لأنه سيصطاد صيداً حسناً ولكنه قد يحزن ليهدم خيمته أو " عريشته " أو موت الماشية من الصقيع والمطر ، والحكمة : تقضى ألا يعرض الإنسان نفسه للخطر لأن الإصطياد فى الجو المعكر كالإصطياد فى الماء العكر .

خـــــاتمة

هل أردنا أن نجمع الشعر البدوى كله فى كتاب واحد ؟

لا ، بطبيعة الحال ، وأظن أن الشعر البدوى فى سيناء وحدها يملأ مجلدات ضخمة لا نعرف لها آخراً إذا أردنا جمعاً يوهم بالحصر والشمول .. وإنما أردنا من هذا الكتاب أن يكون تعريفاً للقراء بتراث كبير من الشعر البدوى فى سيناء ، فإذا كانت الشعوب العربية فى الخليج تتزايد عنايتها بذلك الشعر الذى يسمونه بالشعر النبطى ، ويرون فيه مظهر شخصيتهم وعلامة تميزهم ، فإننا نرى شعرنا البدوى فى سيناء ليس أقل أهمية ، وتعبيراً عن الشخصية ، أو دلالة على التميز ، أو استحقاقاً للجمع والدرس .

وكنا نتردد أول الأمر فى أن ندخل فى مادة الكتاب الشعر الذى نجده فى الرقصات السيناوية ، لأن الناس اعتادت أن ترى فناً من مثل فن الدحية نوعاً من أنواع الرقص ، وليس نوعاً من أنواع الشعر ، وبدا لنا هذا الرأى وجيهاً لبعض الوقت ، حتى راجعناه فوجدنا أن الشعر فى فن من مثل الدحية مكون أساسى من مكوناته ، بل إننا لن نبتعد عن الصواب إلى حد كبير إذا قلنا إن فناً مثل الدحية هو فى الأصل لعبة شعرية ، الرقص فرع منها ، وتعبير عنها ، مرهون بكلماتها .

كذلك أحسسنا بالتردد نفسه ونحن نتعرض لذلك الشعر الذى اشتملت عليه قصص البدو - وقلنا لأنفسنا إن شعر البدو الذى أسميناه بالقصيد شعر كثير يستطيع أن يملأ كتاباً كبيراً ، فلنكتف به ، ولكننا ، للمرة الثانية ، عدلنا عن هذا الرأى . فلقد لاحظنا أن الشعر فى قصصهم عنصر ضرورى لاغناء عنه ، ولا سبيل إلى إهماله ، فالقصة بعد حذفه تنهار وتصير لا شئ ، ولا معنى .

وفى الوقت نفسه انتابنا الإحساس بأننا إذ نختار أن نعرف بالشعر البدوى فى سيناء نختار معه أن نعرف بسيناء نفسها كذلك ، فإذا كان الشعر الذى يكتبه هؤلاء المقيمون فى بادية سيناء تعبيراً عن شخصيتهم ، فإن هذه الشخصية لا تستطيع أن نتصورها بمعزل عن سيناء نفسها . سيناء والشعر يتمازجان فى شخصية واحدة إذا أردنا الحق ، ورغبتنا فى أن نعرف بالشعر البدوى فى سيناء متصلة برغبتنا فى أن نعرف بالمجتمع المصرى الذى

تمثله بادية سيناء ، فى تقديرنا أن المجتمع المصرى يحتاج إلى أن يدرس ذلك الجزء من أجزائه الذى يعيش فى أروع بواديه .

وقد يبدو غريبا أن نعرض الشعر البدوى على الأغراض التى ألفنا ذكرها عند دراسة الشعر العربى فى مدارسنا وجامعاتنا ، فهذا الشعر البدوى متصل بالشعر العربى الذى نعرفه ، ونعرف تاريخه الطويل ، ونعرف الأغراض الشهيرة التى كانت القصيدة من قصائده تجمع بينها ، أو بين بعضها ، فى تكوينها ، وان يكن الشعر البدوى لم يحرص فى أية قصيدة من قصائده على أن يحاكى ، أو يوافق ، النمط الذى يحدثنا المؤرخون بأنه نمط القصيدة العربية القديمة متعددة الأغراض .

وبعد ، فإن الشعر الذى جمعنا له بعض النماذج فى هذا الكتاب يدل على مجتمع نبيل ، يتمسك بالقيم الخلقية الرفيعة ، ويستمد حكمته من خبره الحياة، ويؤلف ثقافته من قيمه ، وخبراته ، وأعرافه ، ودينه الذى يتمسك به .

هنا مجتمع لم يبع نفسه للمحتل قط .

وهاهو ذا إلى الآن تأتيه وفود الناس أفواجاً من الشعوب المختلفة ، ومن أقطار الأرض المتباعدة ، لتستمتع بصحرائه وبحره ، وبسمائه ورمله ، وبنهاره وليله ، ولا يزال على قيمه وتصوره للعالم الذى عاش عليه طويلاً .

ولكنه يواجه خطراً .

إن الهجرة إلى المدينة ، واكتساب قيمها وعاداتها وأفكارها يفقد هذا المجتمع ، على نحو تدريجى بطئ ، طبيعته المعروفة عنه .

إننا الآن نستطيع بخطة جماعية منظمة ترعاها مؤسسات قوية أن نجمع شيئاً كثيراً من ثقافة هذا المجتمع البدوى .

فإن لم نفعل فلن نملك فى القرن المقبل إلا أن نبتسم حين نقرأ كتاباً مثل هذا الكتاب يومها سوف نقول ، هذه كلام يحتاج إلى توسع لا سبيل إليه .

ولكن السبيل لا تزال موجودة ،

فهل نمضى فيها ،

أم ، نوليها أظهرنا ؟!!

الفهرس

المؤلف فى سطور

حاتم عبد الهادى محمد السيد .

* مواليد محافظة شمال سيناء - العريش - ١٩٦٧/٨/١٤م .
* ليسانس آداب وتربية جامعة قناة السويس - كلية التربية بالعريش .
* قسم الدراسات العليا بجامعة قناة السويس .
* شاعر سيناء - عضو اتحاد كتاب مصر .
* مدير نادى الأدب بمديرية الثقافة بشمال سيناء
* عضو الأمانة العامة لمؤتمر أدباء مصر.
* مدرس ثانوى بمدرسة العريش الثانوية بنات .
* عضو الجمعية العربية للفنون والثقافة بالقاهرة .
* رئيس مجلس إدارة جمعية سيناء الثقافية .
* مراسل صحفى لجريدة آفاق عربية - جريدة الوطن العربى بالقاهرة - جريدة المساء .
* **صدر للشاعر :**

- ديوان "أرض القمر" - الهيئة العامة لقصور الثقافة - ١٩٩٧
- ديوان " أشواق العشاق" - دار نجمة سيناء للطباعة - ١٩٩٠
- كتاب " الحب الأول " مجموعة قصصية دار الشوربجى للنشر- ١٩٩٣
- معالم من التراث السيناوى (موسوعة متحف التراث) - مؤسسة فورد التربوية - ١٩٩٨

* **له تحت الطبع :**

- ديوان " سنابل اللغة " الهيئة العامة للكتاب .
- ديوان " عصفور من سيناء " الهيئة العامة لقصور الثقافة .
- مسرحية " الغرباء " مسرحية شعرية - الهيئة العامة لقصور الثقافة

* نشرت أعماله بالصحف والمجلات المصرية والعربية .

* **العنوان :** مصر- محافظة شمال سيناء- العريش -كرم أبو نجيلة ١٣شارع الطائف أمام مرفق المياه بجوار منزل المحافظ كود ٤٥١١١ العريش / ص.ب :(٦٨) العريش هاتف : ٣٥٠٠٦٣ العريش .

قائمة إصدارات
مركز الحضارة العربية

العنوان	المؤلف
أساطير التوراة	عاطف عبد الغنى
حماس .. حركة المقاومة الإسلامية	خالد أبو العمرين
مخابرات ومخدرات	شفيق أحمد على
فى جنازة المقاطعة العربية لإسرائيل	شفيق أحمد على
الملف السرى للسادات والتطبيع	شفيق أحمد على
عبادة الشيطان على ضفاف النيل	حسين عبد الواحد
أسرار الجاسوسية ولعبة المخابرات	يوسف هلال
الماســـــونية (قديماً وحديثاً)	خليل إبراهيم حسونة
الحركات الهدامة	خليل إبراهيم حسونة
الصهيونية السياسية	خليل إبراهيم حسونة
العنصرية والإرهاب فى الأدب الصهيونى	خليل إبراهيم حسونة
الاستيطـان الصهيوني	خليل إبراهيم حسونة
القـــــدس	خليل إبراهيم حسونة
الإرهاب الأمريكي	خليل إبراهيم حسونة
يهود ضد إسرائيل	ياسر حسين
حلف الضحية والجلاد	ترجمة : زينات الصباغ
السلام الفتاك	محمد خليفة
البديل الإسرائيلى للعروبة	سيد زهران
مشروع للانتحار القومى !	مصباح قطب
غزة أريحا - المأزق والخلاص	عبدالقادر ياسين
غزة أريحا - التسوية المستحيلة	جورج المصرى
صفقة التسوية الأردنية الإسرائيلية	د. السيد عوض
سلام أم استسلام	د. أحمد الصاوى
أوهـــام الســـلام	عبد الخالق فاروق
بروتوكولات حكماء صهيون	
التلمـــود	
التناقض فى تواريخ وأحداث التوراة	محمد قاسم
القوة العسكرية الإسرائيلية	جمال الدين حسين
سقوط نجم مخابرات إسرائيل	جمال الدين حسين
عملية السرب الأحمر	جمال الدين حسين
الإختراق الإسرائيلى للزراعة فى مصر	صلاح بديوى
إختراق الأمن الوطنى المصرى	عبدالخالق فاروق
المياه العربية	عبدالله مرسى العقالى
الإسلام والعرش	سيد زهران
من يحمى عروش الخليج	د. أحمد ثابت
إعدام صحفى	سعيد حبيب
الكرامة الضائعة	حمادة إمام
أزمة الانتماء فى مصر	عبد الخالق فاروق
التطرف الدينى ومستقبل التغيير فى مصر	عبد الخالق فاروق
كارثة المعونة الأمريكية	جمال غيطاس
العلاقات الليبية - الأمريكية	د. السيد عوض
بان أمريكان ١٠٣ (اتهام ليبيا أم اتهام أمريكا)	مجموعة مؤلفين
حـــلايب	أحمد محجوب
الإخوان والعسكر	حيدر طه
القوى الخارجية فى السودان	د. السيد فليفل
نظم الحكم العنصرية فى جنوب أفريقيا	د. السيد فليفل
الشيشــــان	عمرو ناصف
عبد الناصر .. هذا المواطن	سليمان الحكيم
حوارات عن عبد الناصر	سليمان الحكيم
عبد الناصر .. والإخوان	سليمان الحكيم
المرأة التى أحبها عبد الناصر	شفيق أحمد على
عبد الناصر وعبد الحليم حافظ والزمن الجميل	حسن صابر
البديل الناصرى	سيد زهران
عن الناصرية والناصريين	مجدى رياض
الأقليات التاريخية فى الوطن العربى	د. أحمد الصاوى
الناصرية والتاريخ	سيد حسان
الناصرية .. الأيديولوجيا والمنهج	سيد زهران
التنمية المستقلة فى النموذج الناصرى	جورج المصرى
فلسطين الانتفاضة .. جدل الوطن والأمة	د. أحمد ثابت
كاريزما الزعامة الناصرية	د. السيد الزيات
الناصرية والتجديد	مجدى رياض
الحركة الإسلامية فى مصر (دراسة موسوعية)	صالح الوردانى
الحركة الإسلامية فى مصر	صالح الوردانى
الكلمة والسيف	صالح الوردانى
عبود الزمر .. حوارات ووثائق	أحمد رجب
المسيح فى الإسلام	ترجمة : عادل حامد
المسيحية والإسلام	حسين السيد

الحكومة والسياسة فى الإسلام   ترجمة : سيد حسان
الوجيز فى بداية التكوين   عبد العزيز محمد، مصطفى الحولى
رسالة التوحيد للإمام محمد عبده   تحقيق د.محمد عمارة
الإسلام والعروبة   مجدى رياض
كيف تقرأ القرآن   محمد محمود عبد الله
كيف تجود القرآن   محمد محمود عبدالله
كيف تحفظ القرآن   محمد محمود عبد الله
التربية الإسلامية   محمد محمود عبد الله
القرآن : حل مشاكل الأمة   محمد محمود عبد الله
قبس من نور الأسماء   محمد محمود عبد الله
الأحرف السبعة وأصول القراءات   محمد محمود عبد الله
صوموا تصحّوا (الصيام والصحة)   محمد محمود عبد الله

الإبر الصينية في العلاج والتخدير   د . لطفى سليمان
الأعشاب الطبية   د . موسى الخطيب
أمن وحماية البيئة   خالد القاسمى/ وجيه البعيني

المساجد الأثرية فى الإسلام   د . أحمد الصاوى
معالم فى تاريخ حضارة آسيا الوسطى   د . أحمد الصاوى
النقود المتداولة فى مصر العثمانية   د . أحمد الصاوى
النقود الإسلامية فى مصر   د . رأفت النبراوى

إينـــــارو   د. على فهمى خشيم
تحولات الجحش الذهبى   لوكيوس ابوليوس ترجمة د. على فهمى خشيم
مسالك الأحبة   خيري عبد الجواد
العاشق والمعشوق   خيري عبد الجواد
الخروج إلى النبع   محمد قطب
حافة الفردوس   نبيل عبد الحميد
الدميرة   د. عبد الرحيم صديق
حمدان طليقا   أحمد عمر شاهين
ترانزيت   ليلى الشربينى
مشوار   ليلى الشربينى
الرجل   ليلى الشربينى
رجال عرفتهم   ليلى الشربينى

مطربة الغروب   جمال الغيطانى

مخلوقات الأشواق الطائرة   إدوار الخراط
حرب بلاد نعم   خيرى عبدالجواد
حكايات الديب رماح   خيرى عبدالجواد
حرب أطاليا   خيرى عبدالجواد
سيرة عزبة الجسر   سعد الدين حسن
خلف النهاية بقليل   وحيد الطويلة
الممنوع من السفر   شوقى عبد الحميد
شجرة الخلد   سعد القرش
شهقة   سعيد بكر
أيام هند   سيد الوكيل
فرد حمام   يوسف فاخورى
خبرات أنثوية   قاسم مسعد عليوه
الفوز للزمالك والنصر للأهلى   عبد اللطيف زيدان
نسيج الأسماء   منتصر القفاش
ليس هناك ما يبهج   عبده خال
لا أحــــد   عبده خال
أحزان رجل لا يعرف البكاء   خالد غازى
الشاعر والحرامى   عزت الحريرى
رشفات من قهوتى الساخنة   محمد محى الدين

سراب القمر   فاروق خلف
إشارات ضبط المكان   فاروق خلف
قصائد حب من العراق   البياتى وآخرون
أول الرؤيا   إبراهيم زولى
رويدا باتجاه الأرض   إبراهيم زولى
نصف حلم فقط   عماد عبد المحسن
حواديت لفندى   عصام خميس
دنيـــا تنادينا   طارق الزياد
صلاة المودع   صبرى السيد
من فصول الزمن الرديء   درويش الأسيوطى
غربة الصبح   محمد الفارس
الغربة والعشق   مجدى رياض
عطر النغم الأخضر   عمر غراب
العجوز المراوغ يبيع أطراف النهر   نادر ناشد
هذه الروح لى   نادر ناشد
فى مقام العشق   نادر ناشد

ندى على الأصابع — نادر ناشد

إذهب قبل أن أبكي — د. لطيفة صالح

هذه الليلة الطويلة — د. أحمد صدقي الدجاني

اللعبة الأبدية ... (مسرحية شعرية) — محمد الفارس

مملكة القرود — محمود عبدالحافظ

آلهة مصر العربية — د. علي فهمي خشيم

رحلة الكلمات — د. علي فهمي خشيم

بحثاً عن فرعون العربي — د. علي فهمي خشيم

أباطيل الفرعونية — سليمان الحكيم

مصر الفرعوبية — سليمان الحكيم

هاجس الكتابة — د. أحمد إبراهيم الفقيه

تحديات عصر جديد — د. أحمد إبراهيم الفقيه

حصاد الذاكرة — د. أحمد إبراهيم الفقيه

الجات والتبعية الثقافية — د. مصطفى عبد الغني

ضد هدم التاريخ وموت الكتابة — أحمد عزت سليم

في المرجعية الاجتماعية للفكر والإبداع — محمد الطيب

زمن الرواية : صوت اللحظة الصاخبة — مجدي إبراهيم

البعد الغائب : نظرات في القصة والرواية — سمير عبد الفتاح

أعلام من الأدب العالمي — علي عبد الفتاح

المثل الشعبي بين ليبيا وفلسطين — خليل إبراهيم حسونة

أدب الشباب في ليبيا — خليل إبراهيم حسونة

العنصرية والإرهاب في الأدب الصهيوني — خليل إبراهيم حسونة

كشف المستور من قبائح ولاة الأمور — د. أحمد الصاوي

رمضان .. زمان — د. أحمد الصاوي

القصص الشعبي في مصر — إعداد خيري عبد الجواد

إغاثة الأمة في كشف الغمة

الفاشوش في حكم قراقوش

الحكمة المدنية لابن المقفع

ماهي السينما — صلاح أبو سيف

قضايا المونتاج المعاصر (جزءان) — د. عفت عبد العزيز

الصوت والضوضاء — د. مصطفى عبدالمطلب

عزة في الفضاء — أم كلثوم إبراهيم

مهرجـــــان — أحمد زرزور/ممدوح طلعت

العصفـــور — أحمد زرزور/محمد فرح

علمني يا أبي حوار عن الصلاة — حسن سليمان

ما قالته الغيمة الأخيرة — أحمد زرزور

ويضحك القمر — أحمد زرزور

برلنتي والمشير (القصة الحقيقية) — سيد زهران

اعترافات الأميرة جيهان — ماجدي البسيوني

الجنس والشباب الذكي (كولن ولسون) — ترجمة: أحمد عمر شاهين

تجارة الجنس جاري جوردون — ترجمة زينات الصباغ

صناعة النجوم سكوت أرنيل — ترجمة زينات الصباغ

أشهر فضائح القرن العشرين — حسن صابر

أسوأ حكام القرن العشرين — حسن صابر

نجوم في الوحل — حسن صابر

الأميرة العارية وعرش سيئ السمعة — حسن صابر

أمريكا .. حرية . جنس وبوليتيكا — حسين عبد الواحد

بنات إبليس (النساء في مملكة الشر) — حسين عبد الواحد

التفسير الجنسي للتطرف — حسين عبد الواحد

التطرف والعنصرية على الطريقة الأمريكية — حسين عبد الواحد

الأطباق الطائرة — حسين عبد الواحد

حسناء البنوك ومعالي الوزير — أسامة الكرم

أسرار ما وراء الجنس — كمال عبد الرسول

كنز المعلومات — كمال عبد الرسول

تسلية ثقافية للكبار والصغار — أحمد عمر

الحرب العالمية الرابعة — ياسر حسين

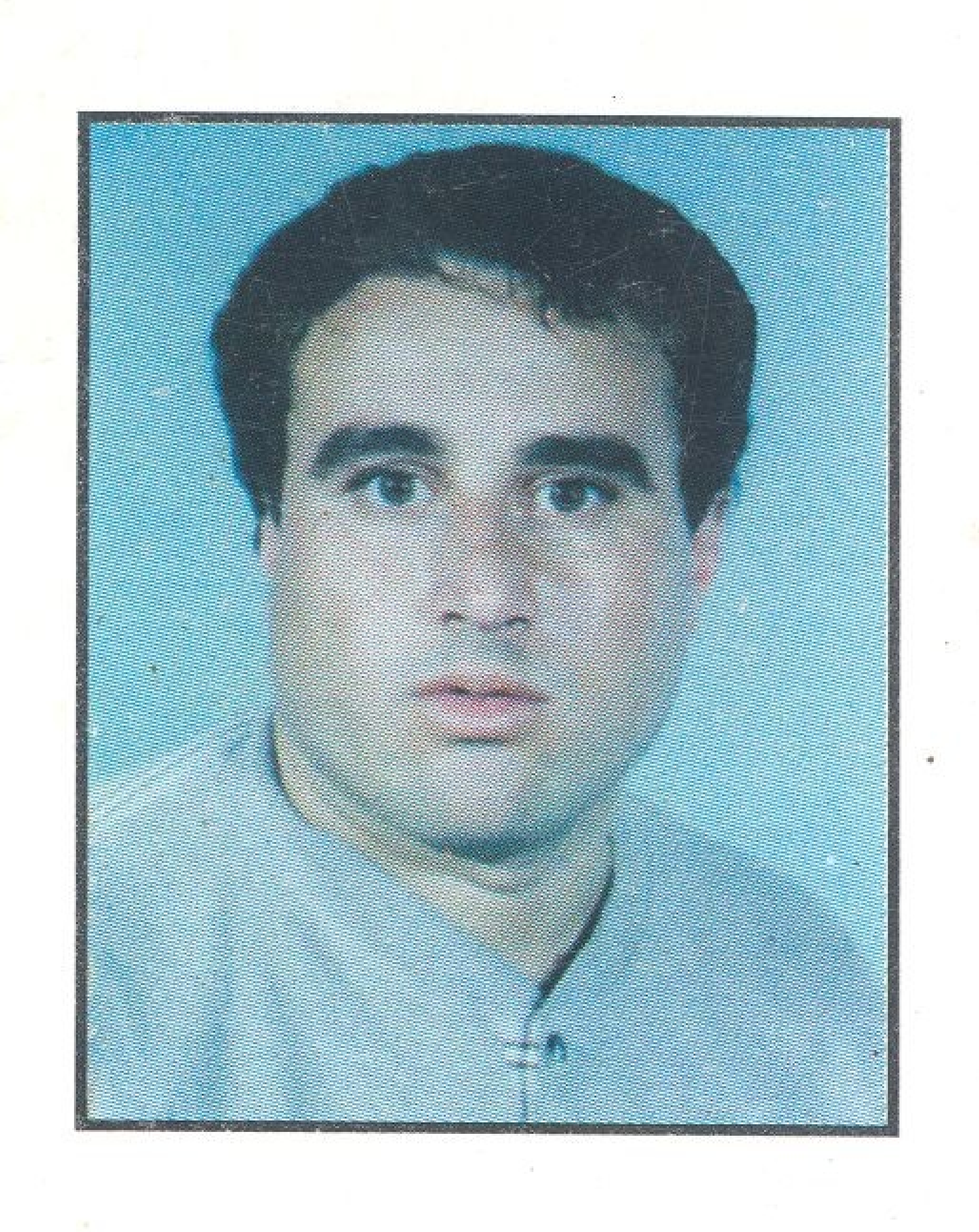
ثقافة البادية

".... المكتبة العربية ، والمكتبة المصرية بخاصة ، فقيرة فى عنايتها بجمع هذا الشعر فى صوره المختلفة ، واستخداماته الكثيرة ، وهى بحاجة إلى أن تقدم أكثر من كتاب فى هذا السبيل .

والباحث شاب من العريش يريد للأدب الحى الذى يجده فى بيئته ألا يضيع ، وفى تقديرى أن الحرص على هذا اللون من الشعر الشعبى واجب على مؤسساتنا لأن الحياة فى مصر تتغير بسرعة فائقة لكل خيال ، ولكل تقدير ، فالبدويون يهجرون الصحراء تدريجياً إلى المدن ، والأجيال الجديدة من أبنائهم لا تكتفى بطلب العلم فى الجامعات ، ولا تكتفى بالبحث عن العمل فى المدن الكبرى ، ولا تكتفى بالسكنى فى المدن الكبرى ، ولكنها ، فوق هذا ، تنتقل بسرعة من اللهجة البدوية إلى اللهجة الحضرية ، وتنتقل من أعراف البدو إلى أعراف المدينة . أضف إلى ذلك كله خطر أكبر ، يتمثل فى التغير البيئى الجغرافى، فالقرى السياحية تغزو السواحل ، والمدن تنشأ هنا وهناك ، والحداثة البطيئة لا تكف عن زحفها ، وقد يأتى زمان قريب تصير فيه الحياة البدوية نسياً منسياً ، بعد أن يستبدل بها البدويون حياة حضرية أخرى ، مثلما استبدل أهل القاهرة بنموذج ابن البلد الشهم بجلبابه الشهير ، وابنة البلد بملاءتها الشهيرة ، الأنماط الحديثة فى الزى والسلوك . ولا اعتراض على التطور ، ولكن العيب كله أن تغيب عن ذاكرة الأمة صور الحياة الآفلة بغير رصد أو تسجيل . وفى تقديرى أن هذا الكتاب عمل مفيد فى هذه الغاية بقدر ما يطيق .

فضلاً عن أن الكتاب يحاول أن يرد على الدعاوى التى تميز الخليج العربى بالشعر النبطى ، وتدعى أنه امتياز خاص بأهل الخليج منقطع الصلة بالأدب العامى الذى لمصر باع طويل فيه ، والكتاب لا يرد رداً مباشراً ولكنه يكتفى بأن يقدم نموذج الشعر البدوي المصرى لينطق وحده بالمراد ".

د. مجدى أحمد توفيق



حاتم عبد الهادى السيد

* مواليد العريش فى ١٩٦٧/٨/١٤ م
* مدير نادي الأدب بمديرية الثقافة بشمال سيناء .
* عضو الأمانة العامة لمؤتمر أدباء مصر .
* عضوو اتحاد كتاب مصر .
* عضو الجمعية العربية للفنون والثقافة بالقاهرة .
* رئيس مجلس إدارة جمعية سيناء الثقافية .

